

كلمة العدد :

"اعصر لنا من مقلتيك الضياء ..."

بقلم : محسن الكريفي

من عتمة ظلمة التعساء تفاعل هلدولين ... تنبأ بمملكة
الله ترفل على أنقاض البلى والردى ... قال : " ستأتي مملكة
الله إذن، سيمنحننا إياها... تدثرنا في سحابة ذهبية . وتحملنا
بعيدا فوق الموت والفناء، سندعش ونصاب بالذهول ونسال
نحن التعساء الذين طالما اشتقنا للربيع، أحقّا صارت مملكة
الله لنا ؟! "

مملكة الله متميزة كتميز الفصائد، صادية كمملكة
الشعراء... وإنا إلى الشعر وإنا إليه راجعون.. هكذا كان
يصدع حفيد هلدولين وعاشق مملكة الله والشعراء، حبيبنا
إلى الأبد المرحوم الشاعر محمد العياشي طاع الله في
جلساته، ومسامراته، ومطارحاته يطرب، ويؤنس، ويشجي
ويرحل بك بعيدا.. إلى عالم الأنوار، إلى بريق الشعاع، إلى
وديان الأمل. كان يضحك، كان يعلم، كان يضيء دروبا
وأمالا وإيناسا، كان يعزف الناي الخالد، من الوهاد العانسة
والسبل الجوفاء والمعالن المنسية والعوالن المظلمة...

فقدناك يا أجلّ مصاب، يا مهلبنا، اشتاقتك الدّساكر
والصّوارم والقوافي...

في هذه الأيام تلملم الإتحاف جراحاتها لتخلّد ذكرى
رحيلك الثانية ... يجتمع الحلالن ، والأتراب، والأوفياء
يتفياون من ظلالك ويكون برعما رحل في عزّ الميلاد... لا
نخالك ترحل عنا لأن عالمك أفسح من عالمنا، أرحب من
حدودنا، كلّه شعر وأضواء وأنوار إلهية... إنك ترقبنا،
وتشجعنا وتفرح لمرآنا على صمودنا في الزّمن المربّد خطفك
منا وسرق مشكاتنا. ومع ذلك فقد أوصيتنا بأن لا نقف،
فمسيرة الحرف دوما صاحبة ومملكة الله لا تقبل بالقانعين
... كنت دوما تردّدك: "سأرحل صغيرا"، ولكنك رحلت
كبيرا، شيخا - لأنّ نهر الحبّ ومواسم الدهول "و" رحلة
السندباد "و" قمر على قرطاج "و" موت الذهب " وغيرها من
الأحفاد الإبداعية لدليل أنك أوفيت وأجدت وأكملت بداية
مشوار سيتكفّل محبّو الإتحاف مواصلة دربه ...

حبيب الإتحاف وإبنها البارّ، ثم في مملكة ضيائك هنيئا ،
كم نحتاجك! نحن إلى ألمانك ، إنّنا مظلّمون في غيابك،
اعصر لنا من جناتك الأنواء ومن مقلتيك الضيّاء ...

" المخزن "

و النتائج الاجتماعية و النفسية

لمؤسسة "حرس جبائي" تونسية

فساد نظام مخزن اللزامين بالبلاد التونسية في أواسط القرن 19 م

-2-

بقلم : الأستاذ محمد بن الأصفر

(ت) الأضرار فيما بين اللزامين

لئن كانت الاسكندرية (مصر) هي، وجهة الأشخاص الواقع تفهيم (3-ب)، فإنه يبدو أن (مالطا) قد كانت وجهة الفارين من البلاد اجتنابا لحصول بلاء ما وعلى أمل العودة... ويبدو أن مالطا قد كانت وجهة اللزامين المفضلة في انتظار انقشاع السحب و مرور العواصف.

<http://Archivebeta.Sakic.com>

ان فرحات الجلولي (1798 م - 1854 م) الذي كان تقلب في الخطط والأعمال (وهي الولايات و القيادات)، قد تخوف من سطوة محمد بن عياد ففر صيحة أخيه حسونة الجلولي إلى مالطا... (3-ا).

و مثله حسونة بن سليمان بن الحاج (توفي 1870م) الذي كان تحصل على لزمي القمرق و دار الجلد و غيرها... (3-ا) و بما أنه قد حصل على تلك اللزمات بسعي من الوزير شاكير صاحب الطابع (توفي 1253 هـ - 1837 م) ليزاحم به آل بن عياد... الخ... فإن اللزام ابن الحاج قد فر،..... ناجيا هو وأهله إلى مالطا....

و يفهم من عبارة ابن أبي الضياف ان بن الحاج قد خشى أيضا ضرر الملك المطلق... و يفهم أن الباي قد كان بخلاف الوزير شاكير يساند آل ابن عياد؟

هذا، و ان كلا من فرحات الجلولي و ابن الحاج قد عادا إلى أرض الوطن في وقت لاحق.

فما المانع من أن تقوم و حشات (أعمال عداء) بين أصدقاء الأمس الذين يصبحون في لمح البصر أعداء اليوم.

ثانيا : تبادل العداء بين ورثة محمود بن عياد وورثة شمامة

قامت قضية بين ورثة كل من ابن عياد، و نسيم شمامة، على أساس أنه قد كان لابن عياد، نصيب في ثروة نسيم شمامة⁽²⁸⁾.

و ذلك خلافا لما كان راهن الجنرال حسين⁽¹⁾، وهي قضية قد نظرت فيها محكمة "السان LA SEINE ابتداءيا بداية من 18 ديسمبر 1867، و قد أصدرت فيها حكما في 27 جوان 1877، و قد تعهدت محكمة الاستئناف بباريس بها و أصدرت حكمها يوم 02 ماي 1885⁽²⁹⁾

و قد كانت من بين ادعاءات ابن عياد انه قد كان سلم لنسيم شمامة ألف قطعة نقدية تسمى "تالاري / TALARI"، لعلها "البورو"، و تساوي قيمة القطعة الواحدة منها خمسة فرنكات فرنسية، و ذلك بقصد تحويلها إلى عملة تونسية⁽²⁹⁾... ثم سلمه قسطا آخر قيمته الجمالية 7.230 ريالا تونسيا... و قد اعترف نسيم بالاستيلاء عليها⁽²⁹⁾ الخ (القضية)⁽²⁹⁾

فمن أين جاء ابن عياد بنقد الفضة؟ و لماذا تعامل مع نسيم شمامة؟ لا بد أن نرجع إلى ما حف بمسألة " سكة عملة النحاس" التي عرفتھا تونس، و إلى علاقة التماس بالفضة، و علاقة يهود تونس بهذا الملف الخطير، والذي يبدو أن الدولة قد أخذت منه اذاك موقفا سلبيا، إلى درجة امكانية وصفها بـ "الاستغلال" وبـ "التخلي" مرة أخرى عن السيادة L'ABANDON DE SOUVERAINETE. المحاطين بملايسات مربية.

ثانيا (3) المخزون و الغش الاقتصادي : عملة النحاس بدل النقدين

يقول أحمد ابن أبي الضياف عن هذه الأزمة ما ملخصه ؟

- كان مصطفى خزنदार (ولي من 1837م إلى 1873 م) قد تحالف اجماع مستشاري الباي، حيث كان شجعه على اتخاذ عملة النحاس (في 25 ماي 1866)، و قد فوجئ كل رجال البلاط بترويج تلك العملة بعد أن كان الباي قد أمر شخصيا بضرها (3-).

- و قد وقع اقتناع الباي بضرورة ترويج عملة النحاس، عوض عن عملة النقدين، أو نقد الفضة على وجه التحديد بدعوى محاولة الوفاء بدين لفائدة دائن خارجي، كان قدم إلى تونس من أجل الاستخلاص (أفريل 1866)، والملاحظ أن المترجم الخاص للدائن لم يكن سوى رشيد دحداح (3-).
الذي كان له دور بارز كوسيط في مضاريات الوزير مصطفى خزنदार في أوروبا، حيث أن دار الأخوة بستري PASTRE، كانت ترعى المصالح المختلفة للوزير خزنदार (3-).

- قد وضع ابن أبي الضياف أن من اليهود من كانوا يجوبون الأسواق على امتداد البلاد وحاراتها وعلى عواتقهم أكياس "بفلوس" (3-) النحاس و هم ينادون بأعلى صوته "من يريد الصرف" و هم يقبلون النقد (أي عملة الفضة) ويدفعون النحاس... و قد فتحت لذلك حوانيت كثيرة... (3-).

- ثم انتقل ابن أبي الضياف من التعميم إلى التخصيص ليؤكد أن شلومو شامة مشيرا اليه بصفته الوظيفية كقبايض الدولة- ذاكرا أنه ممن يشترون النقد في مقابل النحاس (3-) والمعلوم أن شلومو شامة هو حفيد نسيم للأخ وهو الذي قد حل مجلة على رأس القباضة بعد أن كان يشغل ثاني خططها، في تسلسل ذي سيع رتب (3-) و قد حل محل عمه بعد هجرة الأخير سنة 1864، إلى أوروبا.

- و لأن ابن أبي الضياف كان مثل الجنرال حسين بعيدا عن أعمال بخيانة

الأمة والاستيلاء على بيت المال، فإنه يعتقد أن، سبب ترويج عملة النحاس واسترجاع عملة نقد الفضة من مسالك الترويج العادية إنما هو تسديد الربا (أي: فائض مشط) للدين لفائدة الأجنبي الذي كان حل في أبريل 1866 صحبة رشيد دحداح، والذي نرجح أنه أحد الأخوين بسترى PASTRE (29)، و ليس دارالنجي D'ERLANGER، مثلما سيلي بيانه فيما بعد...

فمن هما بسترى ؟

و ما علاقتهما، بخزندار، و محمود بن عياد؟

و ما هو مركز نسيم شمامة بينهم ؟

نما يلاحظ، أنه، لئن ظهر رواج عملة النحاس - و برز للعيان، في ماي 1866، فإن قصته تعود لمدة أقدم من ذلك التاريخ... (30)

علما أنه قديما، حين صُنفت العملة إلى أربع درجات كانت العملة النحاسية وهي -السوقة- أسوأ الأصناف الأربعة، بعد، الجيدة و الزيوف، والمبهرج... (30)

و السوقة، أفضل من عملة نحاس باي تونس سنة 1866، ضرورة أن الأولى تكون مموهة بشيء من الفضة (30) بينما عملتنا قد اختارت الصراحة، واجتناب النفاق، فحاعت من النحاس الخالص... يا للويل...

أم أننا أقل كرمًا، حتى من مزيفي العملة لقضاء حاجتهم مع الصعاليك، وهو ما فعله عبيد الله بن زياد، أمير العراق (648 م/ 687 م) مسجلا بذلك ريادته في استعمال عملة مزيفة لأول مرة في التاريخ الاسلامي، حيث كان قد اشترى ذمة الأعراب الذين كانوا سيفتكون به، أثناء قراره من البصرة، إلى الشام، على اثر توليه قتل الامام علي (31)، و لكنه استعمل العملة المزيفة في غرض محدود و لم يروجها على نطاق واسع.

ثانيا : 4) دار " الاخوة باستري" في خدمة الوزير / اللزام مصطفى خزنندار

ان دار الأخوة باستري، قد كانت متعددة الخدمات، بصفتها عون (AGENT) خاص بخزنندار في فرنسا، و قد كانت قدمت له الخدمات الآتية :

- اعلامه بأخبار البورصة و الحياة الاقتصادية في مرسيليا (29)

- اعلامه بأخبار البورصة و الحياة الاقتصادية بلندن (17)

- تأمين نشاطه المصري بمرسيليا (17)

- تأمين المصالح الشخصية و الخاصة لمصطفى خزنندار و لعائلته، و خاصة منها تأييث قصره في الخلفاوين، و التعهد سنويا بمده بقماش من نوع "البستري"

وهي الصياغة التونسية للفظ PASTRE، إذ قد استهوى ذلك القماش (كسوة

البيت و غيرها) خزنندار حين عاينه مستعملا في الفندق المخصص لاقامة أعيان

الادارة التونسية كلما حلوا بمرسيليا وهو " فندق الشرق" (29) ... و كانت

تكاليف الدفعة الأولى من ذلك القماش سنة 1847، في حدود 30 ألف فرنك

فرنسي... و هذا المبلغ قد مثل سنتذ، ثلث (3/1) كل صادرات مرسيليا إلى

البلاد التونسية (29) أما أصول خزنندار في بنك باستري، في سنة 1850 فقد

بلغت 69 مليون و 57 فرنكا فرنسيا أما ما هو عليه (خصوم بنكية) فقد

كانت في نفس التاريخ في حدود 5 ملايين و 7 فرنكات فرنسية (29)

فحسابه سنتذ (1850)، قد وفر مبلغا قدره 64 مليون و 57 ألف

فرنكا.

و هذا المبلغ يساوي، سنة 1873 (أي بعد 23 عاما)، ثلاث مرات ونصف

المرّة، مداخيل الدولة التونسية، حسب تقديرات خير الدين الذي كان قدر ثروة

نسيم سنة 1873 (سنة وفاة نسيم) ب 27 مليون فرنك معلقا على هذا الرقم

بأنه يساوي مرة و نصف المرّة مداخيل الدولة التونسية في ذلك العام (32) و لم

يكن خزندار، قد وصل إلى هذه الدرجة في غفلة من الناس أجمعين، بل انه يعلم بحال محمود بن عياد، الذي كان هو أيضا يعلم بحال خزندار، فحين أراد خزندار سحب مبلغ مالي من حساب ابن عياد من بنك بستري بمرسيليا فإن ابن عياد قد عارض ذلك الأمر، و قد كانت للمرؤوس الكلمة الأخيرة لا للرئيس، كما لا نظن أن خزندار لم يكن يعلم بحقيقة الأوضاع المالية لنسيم شمامة، و كلاهما مستشارا السوء فالأول قد أشار على الباي باتخاذ عملة النحاس^(3-ب) و الثاني (نسيم) قد أشار على الباي بالترفع في المجي إلى ضعف مبلغه (من 36 ريال إلى 72 ريال) فكانت ثورة على بن غداهم والاستشارتان تصبان في حانة واحدة وفي مصلحة واحدة و هما تكديس المال من النقد الجيد، ثم ابداله بالنحاس بعد اشتراكه من عامة الناس و اخراجه إلى أوروبا لحسابيهما الخاصة ذلك أنه، لئن كانت عملة النحاس قد روجت بشكل صريح، سنة 1866، كما سبق بيانه فإن أمرها يعود، إلى سنة 1825، على أقل تقدير (1240 هـ)، وهو " التلاعب بالسكة) على حد تعبير ابن أبي الضياف التي ضربت^(3-ب)، سنة 1857 م - 1274 هـ^(3-ب)...

و اما عن العلاقة بين ابن عياد و نسيم، فلقد تبين بالفعل و على خلاف اصرار الجنرال حسين تبين أنها علاقة خيانة للدولة، و قد كانت العملة قوامها الأساسي و قد أسفر الحكم في القضية التي فصلت فيها محكمة الاستئناف بباريس في 2 ماي 1885، سابقة الذكر على "المقاصصة" أي على اجراء الحساب بين الطرفين، و كان صافي ما جناه و رثة محمود ابن عياد من ورثة نسيم شمامة ثلاثة ملايين و 666 ألف و 187 ريالا تونسيا (ملوينا و 384 ألف و 71 فرنكا فرنسيا)⁽²⁹⁾.

فإذا كانت مسألة ضرب العملة الفاسدة لتوفير امكانية تهريب الفضة إلى الخارج، تعود، إلى سنة 1825 م، على أقل تقدير، فإن المستندات المقدمة في إطار

القضية التي قام بها ورثة ابن عياد ضد ورثة نسيم شمامة تتحدث عن القضية، اذ قد رد ورثة نسيم على ورثة ابن عياد، أنه هناك رسالة أمضاها نسيم في 22 رجب 1269 هـ (1852-1853 م) و كانت عبارة عن محاسبة في شأن 45 رطلا من الفضة ... (29) الخ...

و يبدو أن خيانة البلاد لم تكن مقتصرة على الثالث (الوزير الأكبر مصطفى خزنदार، و اللزام الكبير محمود بن عياد، و قابض الدولة شمامة)، ذلك أنه بالإمكان توجيه أصابع الاتهام إلى غيرهم من رجال المخزن مثل، وزير خارجية باي تونس الكونت رافو ولي (1837 م إلى 1855 م) الذي كان بطبيعة وظيفته كثير التنقل إلى أوروبا... وقد كان في كل مرة يمر من مرسيليا، حيث صديقه الحميم "باول بستري P-PASTRE"، فيقوم بعمليات مالية وبنكية و تجارية (يكلفه بها مصطفى خزنदार (29) و لا عجب في ان يكون أحمد باي نفسه على علم بالتلاعبات و التحايزات و الجنايات، فهو قد اشترى في أوت 1850 عربة محرورة بالخيل (كروسة) من مرسيليا و قد وقع خلاص ثمنها من حساب خزنदार، المنزل بنك بستري بالمكان (29).

كما أن أحمد باي، يشترك مع خزنदार في التعامل مع الجواهرجي MOIANA بباريس سواء لاقتناء الجواهرات، أو لاقتناء معدات الغليون (29) كما يشترك أربعتهم (أحمد باي، و مصطفى خزنदार و محمود بن عياد، و نسيم شمامة) في التعامل مع نفس المؤسسة البنكية، وهي بنك بستري بمرسيليا، حيث كان لكل منهم حساب ابداع (29).

ثانيا : 5) سوء علاقات رجال المخزن يصل إلى رحاب القضاء

انه ليلة انتصاب الحماية و في السنوات الأولى منها بدا مخزن اللزامين مرتبكا منفرط العهد مهتز العلاقات فلم ترفع القضايا ضد ورثة نسيم شمامة، فقط، وهي القضية سابق الاملاع اليها، بل ان ابن عياد و في قائم حياته، و قبل انتصاب

الحماية كان قد قاضى رئيسه مصطفى خزندار أمام المحاكم الفرنسية على أساس شركة تجارية كانت بينهما و كان رأس مالها ثلاثين مليون فرنك فرنسي. و تعود وقائعها إلى سنة 1852 حسب محمود بن عياد⁽¹⁾

أما ورثة نسيم شمامة، فإنه يبدو أنهم لم يكتفوا بنتيجة الدعوى المعارضة التي قاموا بها في إطار دفعوائهم في القضية المقامة عليهم من طرف بن عياد، حيث سمعت دعوائهم المعارضة في حدود 182 ألف و 250 ريال⁽²⁹⁾، فهم قد قاموا من جديد على ورثة ابن عياد، بعد أربع سنوات (من 1885 إلى 1889)، حيث تحصلوا على حكمين من محاكم فرنسا، يومي 29 جويلية 1889 و 14 ديسمبر 1889⁽³³⁾ و واضح أنهما لفائدتهم، إذ قد اعتمدوا عليهما لعقلة أملاك ابن عياد في تونس وبيعها واستتضاض ثمنها، لا بل ان عائلة دارلانجي D'ERLANGER⁽²³⁾ التي كانت حلت محل ورثة نسيم شمامة في الخصام ضد الدولة التونسية⁽²³⁾ فقد قامت بنفس الشيء و قد كانت الجلسات كما يلي:

(A) يوم 25 جانفي 1890 التبتيت على العقار المعروف بقصر ابن عياد الكائن بشارع باب الجديد بالعاصمة اعداد: 47 و 49 و 51 و 53 الذي يشغله عندئذ عبد الرحمان بن عياد⁽³³⁾ و ذلك بطلب من ورثة نسيم شمامة.

(B) يوم 08 فيفري 1890 : وقع التبتيت على عقار يسمى "سانية بن عياد"، وهي أيضا كائنة بشارع باب الجديد (JARDIN ET POTAGER).

(C) يوم 08 فيفري 1890 : وقع التبتيت على دكان كائن بزاوية نهج البنا عدد 42، ونهج القماش عدد 178.⁽³³⁾

(D) يوم 08 فيفري 1890 : التبتيت على سانية بأريانة في حوزة حميدة بن عياد...⁽³³⁾ و اما مؤسسة دارلانجي فقد قامت بالتسديس، ضد الدولة

التونسية، و ذلك في حقها شخصياً و في حق جوزيف شمامه و عزيزة شمامه حرم موسى (موزير) شمامه..⁽³³⁾

(E) يوم 29 جانفي 1890 : التبتيت على هنشير أمير، أو " عمير"
(AMIR) الكائن بالمحمدية (33)...

ثم قام البارون ايميل دارلانجي **BARON D'ERLANGER**
EMILE D'ERLANGER بقضية أمام المجلس العقاري المختلط لتسجيل
العقار المذكور (لا علاقة لعائلة دارلانجي)، هنا بعائلة البارون ديرلانجي ساكن
سيدي بوسعيد وراعي الموسيقى التونسية فدارلانجي في قضية الحال يقيم في
باريس و كان وقتها القنصل الشرقي لليونان بفرنسا⁽³³⁾... وواضح أن هنشير
المحمدية كان قد آل إلى الدولة التونسية في إطار نسبة الـ 28 بالمائة الراجعة إليها
حسب الحكم الصادر في قضية الدولة التونسية ضد نسيم والمورخ في أكتوبر
1881^(29, 33).

فهل تعلق مطالب الطاهر و احمد ابني محمود بن اعياد التي قدمها إلى
الدولة التونسية سنة 1908 باسترجاع هذا الهنشير⁽¹⁾ كما جاء في قول
الاستاذين بلغيث و القاسمي استنادا إلى وثائق ثابتة المحتوى و الدلالة؟

ثالثا : هشاشة الاقتصاد التونسي

اذ لا ندعي أن.أثانية رجال مخزن اللزامين قد كانت هي السبب الأورحد، أو
حتى الرئيسي لما آل اليه حال البلاد من احتلال هو في حقيقته لا يختلف الا
شكليا عن الاستعمار اللاحقي الذي عرفته الشقيقة الجزائر... ذلك الاحتلال
الذي لم يمهّد له باحداث "اللجنة المالية الدولية" خلال سنة 1869 م
(الكوميسيون)⁽³²⁾ فقط، و انما كانت أشكال الهيمنة الأجنبية قد تعددت و ذلك
"باسم" تحضير و تمديد شعب غير متحضر و لا متمدن في نظر الغرب ... و من
تلك الأشكال احداث "لجنة النظافة **COMMISSION D'HYGIENE**"

في 02 جوان 1872، ومهمتها، مضاعفة نشاط المجلس البلدي في مسألة تنظيف عدد من طرقات الحاضرة، مدينة و ربيضين... ولم تغب إلا القليل من القنصليات الأوروبية عن عضويتها ⁽³⁴⁾، و منها أيضا ذلك الحصار البحري رهيب حول مدينة حلق الوادي، سنة 1864 م، بتعلة ضرورة حماية الأوروبيين (تبعهم اليهود) من خطر أعمال انتفاضة علي بن غداهم (1814م-1867م) ⁽³⁵⁾.. كل ذلك بعد أن فشل المشروع الفرنسي بإقامة امبراطورية استعمارية تحت اسم "المملكة العربية الافريقية ROYAUME ARABE D'AFRIQUE" ⁽³⁶⁾ بواسطة، محمد علي باشا (و: 1769 م-ت: 1849م) و إلى مصر ...

لكن، تصرف رجال مخزن الزامين، غير الوطني و لا حتى الديني، الذي كان قد وصل إلى حد : الصفة الكمبرادورية COMPRADORIENNE اذ هناك من يتحدث عن أن ابن عياد، قد تظاهر بإهداء كمية من ثمار الدلاع إلى قنصل بريطانيا، و كان ذلك الدلاع محشوا، بعملة الذهب التي ضلع بن عياد مع غيره في جمعها و تعويضها في الرواج بعملة النحاس... و كان القصد هو اخراج تلك العملة عبر الطرق القنصلية باعتبارها ذهباً و فضة...

ويقول مصدرنا أن لوحة، أو حائطية FRESQUE كانت قدما توجد بدار القنصل البريطاني وهي تمثل ثمرة الدلاع التونسية وهي حسب مصدرنا (الأستاذ ب-ش) ترمز إلى تلك الواقعة ؟ !؟

و لم يكن المخزن الاستلزامي محصورا في ابن عياد و الجلولي و ابن الحاج، ومن ذكرنا من "الوزراء" مثل رستم، فلقد وجد غيرهم، أمثال، بهرام الذي جمع بين يديه عدة خطط مخزنية، و منها أنه قد كان آغا وحق القمروان ^(3-ب) وعضو مجلس الحرب ^(3-ب) خلال النصف الأول من ستينات القرن 19 ميلادي ⁽¹⁾ وهو الذي كان تولى خطة "آغا الخوانب" ^(3-ب)، بعد رستم، سابق الذكر... فضلا عن كونه "وكيل خراج الزكاة" ⁽³⁷⁾... وقد تحدثت الأخبار عن "ابن

عباس"، وهو اسم لشخصين متعاصرين و هما من رجال المخزن، و هما : ابراهيم بن عباس⁽¹²⁾، عامل (أي : قايد) رياح، و محمد علي بن عباس⁽¹²⁾، وهو قايد عرب ماجور ... و قد كان أحدهما منخرطا في عالم اللزمة و بهرام الذي له ملكية فلاحية بجهة المرقاية⁽³⁷⁾، لم يكن ليجمع بين يديه لزمات كل تلك الخطط⁽³⁸⁾، لو لم يكن "ريبب" علالة القايمي (توفي 1271 هـ-1854 م)، الذي هو بدوره (ريبب و صهر حسين باي (ولي من 1824 م إلى 1835 م)⁽³⁷⁾ الخ... و يجب أن نفهم معنى كلمة ريبب في هذا السياق على أنه قد وقع تبنيه من طرف الباي⁽²⁵⁾ و ليس معناها الجاري وهو أن الريبي هو ابن الزوجة أو الزوج من زواج آخر.

ان جملة هذه الأسباب الخارجية منها، و الداخلية، و التي من بينها أنانية رجال مخزن اللزامين قد ساءت بها حال البلاد و العباد و كان الاحتلال أمرا شبه حتمي ..

على أن المخزن، مثلما كان عرفا تطورا في مفهومه من " مخزن العروش" إلى "مخزن اللزامين" فإنه سيعرف خلال القرن التاسع عشر تطورات نوعية أخرى، ستؤثر على التركيبة الاجتماعية للمجتمع، و خاصة منها مجتمع العاصمة نقطة استقطاب " الأعيان" بعد أن يغادروا مدن داخل البلاد، و بلداتها، و قراها، و نجوعها للالتحاق بها (أي بالعاصمة)... للاقتراب من ولي النعم... وهو تطور، حصل المفهوم المخزن قبل انتصاب الحماية (مخزن كتاب الادارة)، و بعد انتصاب الحماية (مخزن القوم)

الاحالات

- (1) الجنرال حسين : حسم الإلداد في نازلة ابن عياد - تحقيق : د. الشيباني بلغيت و أ- فحي القاسمي- طبع شركة بريزم- تونس- 2002 الصفحات : 40-52-53-54-58-66-69 و 71-72-75 (29)

- (2) محمد بن الأصغر : حول ادعاء محمود بن عباد بأن له في ثروة نسيم شمامة نصيباً- جريدة : الصباح- تونس 27 أوت 2002.
- (3) أحمد ابن أبي الضياف : انقاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان - الشركة التونسية للتوزيع- (طبعة 02) - تونس - 19.. (8 أجزاء)
- (أ) الجزء 04 : تحقيق د. أحمد الطويلي - صص 56 صص 63 صص 35 - ص 149- ص 54-ص 91.
- (ب) الجزء 06 تحقيق : أ رياض المرزوقي - صص 126 - ص 89 - ص 97-ص 85- صص من 86 إلى 91 - ص 130 - صص 31 و 124 و 76.
- (4) حودة بن عبد العزيز : الكتاب الباشي - تحقيق الشيخ محمد ماضور - الدار التونسية للنشر - تونس 1970 - الجزء الأول - صفحتان 310 و 311 (الإشادة بالآبارو المواجل التي أحدثتها علي باشا الحسيني).
- (5) حسين خوجة - ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان - تحقيق : د. الطاهر المعموري- الدار العربية للكتاب - تونس/ ليبيا- 1975- ص 98. (الإشادة باقامة قنطرة على وادي مجردة، قرب مجاز الباب من طرف الداي مامي جل).
- (6) AHMED SAADAoui: Tunis-Ville Ottomane (3 siècles d'urbanisme et d'architecture) Centre de Publication. Universitaire. Tunis.2001. pp 238 et 114-117 a titre d'exemples).
- (7) توبي - هف: فخر العلم الحديث - تعريب د. محمد عصفور - سلسلة : عالم المعرفة- الكويت - عدد 260 (أوت 2000) ص 90.
- (8) محمد بن الأصغر : من وحي قراء كتاب الأستاذ هشام جعيط " تأسيس الغرب الاسلامي " جريدة الصباح تونس.
- (9) من صلاح يوسف صاحب الطابع (توي 1815 م)، جامعته بالخلفاوين، و الزاوية لتعليم القرآن، و المدرسة لتلقين العلوم من حوله، و كذلك السوق و الوكالة و المخازن والحمام وهي أوقاف جعلها لتدر على الدروس و العلم.
- (10) ANDRE DEMEERSEMAN : Inventaire des biens d'un CAID en 1826. BAKKAR. Jellouli-in.I.B.LA N°150 et 151-2ème sem 1982 et 1er sem 1983 pp 281 à 302 et 77 à 92.
- (11) أحمد عبد السلام و ثيقتان عن نشاط اتباع يوسف صاحب الطابع- حوليات الجامعة

التونسية - العدد 27 لسنة 1986 صص من 17 إلى 21.

(12) MUSTAPHA KRAIEM : La Tunisie Précoloniale Ncale - S.T.D.Tunis-1973.Tome I.pp :166 à 180.

(13) MOHAMED HEDI CHERIF : Pouvoir et société dans la Tunisie de HUSAYN BIN ALI (1705-1740). Université de Tunis-1984-Tome V pp 51-85-88 et 89 etc...

(14) MOHIEDDINE MABROUK : L'Administration Tunisienne sous le protectorat - la revue juridique (tiré à part) CERES.Tunis- Octobre -1974-pp 57-63.

(15) النصف الفخفاخ : موجز الدفاتر الإدارية و الجباية بالأرشف الوطني التونسي - منشورات الأرشف الوطني التونسي- تونس 1990- صص : 247 إلى 249.

(16) رسائل حسين إلى غيو الدين : جمع و تحقيق أ-د أحمد عبد السلام- بيت الحكمة- قريطاج- 1992 صص : 26 و 35 و 53.

(17) من المعلوم أن تجارا آخرين قد اقتنوا القوارب البحرية أو أنهم قد ساهموا في التجارة البحرية مثل يونس الجبري (راجع: م الهادي الشريف- تاريخ تونس-دار سراس- تونس . 1980 . ص 89).

(18) MOHAMED BEN SMAÏL : Dictionnaire des mots Français d'origine Arabe - S.T.E.R-Tunis-1994.p61.khrit.com

(19) صالح المغربي : النظم و المؤسسات الإسلامية - حوليات الجامعة التونسية- عدد 34- سنة 1993 صص 224.

(20) SAÏD BEN AÏSSA : Introduction aux finances publique (étude comparative) (S.E) Alger - (S.D) p : 66.

(21) H.LAUFENBURGER : Histoire des impôts - P.U.F.France .1959.p14.

(22) د. ماجد راغب الحلو : القانون الإداري - دار الكتب للطباعة و النشر و التوزيع- الكويت- 1977.ص 130.

(23) مثال للصفقات العمومية التي نظمتها الإدارة الفرنسية في تونس سنة 1890 و ذلك لتعبيد الطرقات الآتية : تونس/ سوسة بين النقطتين الكلمتريتين 25,100 إلى 40,3- حمام الانف / سليمان- حمام الانف / رادس- مرناق/ تونس- زغوان/ تونس- باردو/ الزهروني- تونس/ الكاف- تونس - سوق الاربعاء(جندوبة- حاليا) و هي الدفعة الأولى من الطرقات المعبدة في عهد الحماية الفرنسية.

(24) AUGUSTO GALLICO : Tunis et les consuls sardes (1816-1834) traduit de l'Italien par Med et Lyna-Yaalaoui-Dar El Gharbel Islami-Beyrouth-1992, p222.

(25) ANDRE DÈMEERSEMAN : Aspects de la société Tunisienne d'après IBN Abi LDHYAF- I.B.L.A.Tunis -1996- pp41 à 65.

(26) الكروي القسطنطيني : الاحتياج و المحتاجون بتونس العاصمة في فترة الاستعمار الفرنسي (1885-1918) مركز النشر الجامعي تونس -1999 صص من 27 إلى 42.

(27) علي المحجوبي : انتصاب الحماية الفرنسية بتونس- سراس للنشر-تونس-1986- ص15.

(28) الجنرال رستم : ينتمي إلى الجماعة الوطنية رغم تعدد ولاياته كما يتضح ذلك من رسائل الجنرال حسين إلى خير الدين (انظر : الاحالة 18).

(29) محمد بن الأصغر : التاريخ، و القانون و الحداثة. دار الاتحاد-سليانة-1988- صص من 122 إلى 134 و صص من 108 إلى 121.

(30) د. حسان حلاق : تعريب النقود و الدواوين في العصر الأموي- دار النهضة العربية- بيروت-1988- ص 96.

(31) د. فؤاد صالح السيد معجم الأوائل في تاريخ العرب و الاسلام- دار المناهل بيروت-1992 ص 125.

(32) MED SALAH MZALI et Jean PIGNON : Khereddine, Homme d'Etat-MTE-Tunis.1971.pp170 à 177.

(33) محمد بن الأصغر : تاريخ القضاء في تونس (كتاب مخطوط و كم من الوثائق).

(34) ممثلو القنصليات الأوروبية، في مجلس النظار سنة 1877 م (1294 هـ) هم، غريل مدينا (قنصليات هولندا و موسكو (روسيا) و البلجيكي) بولوفورت (قنصليات: ألمانيا و السويد)، الدكتور بريتي (انجلترا)، رافازيني (النمسا)، الدكتور كوتون (فرنسا)، و ديموتس (اسبانيا)، و قد مثل الأهالي فيه إحدى عشرة عضوا مسلما، و ثلاثة أعضاء يهود، برئاسة رئيس المجلس البلدي محمد العربي زروق (1823م-1902م) و شيخان كاتبان، و قابض يهودي و كبير حراس.

(35) محمد بن الأصغر : حلق الوادي- المدينة النفر، مجلة معالم و مواقع، الجمعية التونسية، معالم و مواقع، تونس -عدد 14 أبريل 2004 صص من 33 إلى 47.

(36) محمد بن الأصغر : النوايا التوسعية لمحمد علي باشا مصر في تونس أو المشروع

الفرنسي - المصري (المملكة العربية الإفريقية) - مجلة الإتحاف - سليانة - عدد 166 - أكتوبر 2000 ص 14 إلى 25.

(37) سامي اليرقاوي: الملكية العقارية و علاقات الانتاج بجهة تونس (1875-1914) جامعة الوسط - دار المعلمين العليا بسوسة 1989 - ص 73 (احالة : 4).

(38) خطط بمرام هي :

أ) آغا و جق القيروان : حين وقع احكام المسألة الأمنية والمالية و الجبائية باحداث سلك العمال (القياد)، كانت هناك قبائل رحل فوق فتح حصصهم بقايد ووجع منتقل MOBILE... هذا القايد المتنقل هو " آغا الوجع" (انظر عمار المحجوبي - انتصاب الحماية - م س - ص 15).

ب) عضو مجلس الحرب : محكمة عسكرية تمتد نظرها إلى " المحلة المنصورة وهو من احداثات عهد الأمان (انظر الاحالة رقم 33 قبله)

ت) آغا الحوالب : كانت خطة " باش حانية" هي أعلى رتب سلك " الحوالب" فأحدثت خطة " آغا الحوالب" سنة 1863 و كان أول من تولاه محمد بيار (القيرواني)، ثم وقع ابطالها على أن " الباش حانية" بإمكانه أن يحافظ على هذه التسمية مع الترقية في الرتبة العسكرية، فالصادق ابن عبد الستار (البحري) مثلا، هو باش حانية برتبة أمير لواء. و كان في بداية عهده بالمخزن "أوده باشي".

ث) وكيل خراج الزكاة: لزمة معتمدة لدى " بيت المال" وهي استخلاص الزكاة على غرار استخلاص خمس الغنائم و الصدقات... (راجع : توفيق بشروش و من معه: موسوعة مدينة تونس - مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية والاجتماعية - تونس 1999 ص 91.

أطبّاء عرب في عالم الأدب ! ..

-1-

بقلم : رشيد الذواودي

وعملا بقول الرسول الأعظم، أولى

العرب والمسلمون أيضا عناية فائقة بالطبّ، بل واحتضنت مدارسهم الطبية المثات من الطلبة القادمين من كلّ أنحاء العالم.

وكثيرون هم الذين اشتهروا بالطبّ العربي وأشتغلوا به، لأن الطب كما

يرى ابن خلدون: "هو فرع من فروع الطبيعيات، وهو صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصحّ، يحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرضى بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كلّ عضو من أعضاء البدن والأسباب التي ينشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين بأمزجة الأدوية وقواها على المرضى، بالعلامات المؤذنة بنضجه". (2)

توطئة :

نما لا شكّ فيه أنّ الإنسان قد تعرّض للأمراض منذ خلقه، فصار يبحث عن أسرار الداء ووسائل العلاج منه، بل ورأينا الناس يتنافسون فيما بينهم للتعرف على الأمراض وعلى وسائل العلاج منها. وأحاديث المؤرخين عن الطبّ والأطباء أحاديث شائعة وملأت كتب التاريخ وهي فصول من الذاكرة وبالحصوص من (ذاكرة العرب)... فالعرب والمسلمون عامّة، كان لهم اهتمام بالطبّ مثل اهتمامهم بلغتهم وبالمعرفة عامّة، وأخذوا هذا من وصايا الرسول الأعظم صلوات عليه، حيث قال: "تداووا عباد الله، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء غير واحد... قيل يا رسول الله وما هو؟ .. قال "الهرم".

أفضال العرب:

(5)

ونحن إذا ما عدنا إلى المصادر التي تعرضت إلى إسهامات العرب والمسلمين في الطب، فإننا نجد صفحات ناصعة عن جهود العلماء في هذا الشأن، فـجابر ابن حيان مثلاً أكد

على تعادل المواد الكيميائية في الجسم، بل واعتبره حصانة من الأمراض، وابن زهر (3) في أمثاله الطبية استطاع تشخيص مرض السرطان في المعدة والمرىء... والعرب وهم أول من عرف العالم بأن بعض الأمراض تنتقل بالعدوى ففتحوا (القانون) لابن سينا، و(الحاوي) للمستشفيات متخصصة، وجمعوا ما تفرق من نظريات الطب في الحضارات القديمة وصاغوها في فكر جديد وظل هذا الفكر مرجعاً لكل دارس ومختص.

و(أطباء العرب) قبل غيرهم كانوا استخدموا أنبوب المعدة لإجراء عملية تطهيرها. (4)، وأيضاً علاج الزيف بصب الماء البارد، وعلاجات النساء، والسل، ومرض ورم الكلية وغيرها..

وثبت المستشرق الشهير (رام لانلو) أن علماء العرب لهم سبق في الرياضيات والفلك والفلسفة، وأنهم تقدموا في العلوم الطبيعية كالطب والكيمياء والصيدلة. (6) ويرى (رونلد كامبل) في كتابه (الطب العربي): أن العرب قضوا على الكثير من الأمراض الفتاكة، وبقيت جامعات أوروبا تستند تماماً على إسهامات علماء العرب في الطب، بل وإن جامعاتهم بقيت تدرس كتابي (القانون) لابن سينا، و(الحاوي) للرازي وغيرهما حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي (7)

وحتى تكتمل الصورة الجمعية عن العرب وعن إسهاماتهم في الحضارة الإنسانية، تستوقفني (محنة الأطباء الأدباء)، هؤلاء في تقديري أصحاب فضل وآراء ومواقف، وكانوا شجعانا فيما نادوا به من مبادئ في اللحظات العصبية، هم كثر في كل عصر ومن مشاهيرهم :

— أحمد بن الجزار :

وهو طبيب من (إفريقية) وولد بالقروان سنة 285 هـ (898 م) على عهد الأمير إبراهيم الثاني إن هؤلاء من أمة معطاء، أنجبت الأغلبية ونشأة هذا الطبيب وتعلمه كانتا بالقروان.

وفي بداية حياته درس ابن الجزار علوم اللغة والفقه أولا، ثم تلقى معارفه الطبية على أبيه وعمه الطبيين وقتئذ بالقروان، ثم تابع دراسته الطبية على مشاهير أطباء القروان وفي مقدمتهم إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، الذي تعلم الصناعة الطبية في مصر، وتعاطى مهنة (أمراض العيون) في عهد أحمد بن طولون.

العلمي العميق.

أطبّاء أدباء :

ومن اهتمامات العرب والمسلمين أن الكثيرين من أطبائهم نبغوا في الأدب، وأشرقت بهم صحائف الفكر، وأبنت بإبداعاتهم دوحة الشعراء وقائمة الصفوة من هؤلاء طويلة وتحكي عن قراءات وتيارات ومواقف جادة، ولو سألتكم: وهل تريدون أن تعرفوا شيئا عن هؤلاء ؟. وأن تعيشوا لحظات متعة مع سطور من صراخهم، وعصورهم وأحاسيسهم لقلت لكم: إن هؤلاء من أمة معطاء، أنجبت الأغلبية ونشأة هذا الطبيب وتعلمه أعلاما ملأوا الحياة من جديد، وساروا على درب الأوائل، وتاقوا إلى تحقيق الأمل بالكلمة الهادفة، وبتحريك واقع الحياة وطبيعة الوجود... ..

وهنا يحسن أن أقول: لعلنا في الكشف عن الأطباء الأدباء من العرب ما يميز ما نفتخر به، وهو أننا دائما في مصدر الحركة، وأن في زخم الإضاءات في تاريخنا الحضاري ما يقنع (الأخر) بأننا قد أضفنا الكثير!..

وحرص ابن الجزار أن يكون بعيدا
عن الأضواء إلى أن استكمل معارفه،
واستطاع بذكائه وفطنته أن يتحدّى
المتخاذلين والمتملقين لرجال الحكم،
وظلّ طوال حياته - شهما
وشحاعا، ووفيا لأصدقائه، وجادا في
طلب المعرفة، وملتصقا بالطبقات
الشعبية الفقيرة، وبحيا حياة بسيطة
وعادية.

وتذكر عنه مصادر التاريخ، أنه
كان يصرف جلّ أوقاته في البحث
والمعالجة الفقراء، ولا يخرج من

الفقراء". (9)

وفي معالجة الفقراء، ولا يخرج من
القمران إلا في أيام القيظ، حيث
يرحل إلى (رباط المنستير) فحسب .
وإذا ما كانت ثقافة ابن الجزار
شاملة، ومؤلفاته عديدة، فالرجل كان
محبا للأدب.. وشغوفا بالشعر، ومن
أهمّ مؤلفاته : (طبّ الفقراء
والمساكين)، و(التعريف بصحيح
التاريخ)، و(المكمل في الأدب
والسياسة)، و(طبقات القضاة)،
وكتاب (النوم واليقظة) وسواها من
الكتاب المهمة.

ويرى علماء أوروبا، أنّ ابن سينا
معجزة تاريخية لأنه كان يتمتع بذاكرة
عجيبة وبسرعة فهم، ولهاذين الميزتين،
خلع عليه العلماء ألقابا عديدة وأطلقوا

عليه (أمير الأطباء) في عصره. (10).
 وابن سينا المعروف باسم الشيخ
 الرئيس ألف ما يقارب من مائتين
 وخمسين كتابا في صنوف الطب،
 والرياضيات، والطبيعات والفلسفة
 والمنطق ومن أهم هذه المؤلفات كتاب
 القانون في الطب وكتاب الأدوية
 القلبيّة ويقال عنه: إنه في بداية أمره
 كان يشكو من ضعفه بالعربيّ ولكنّه
 بعصاميته تدارك هذا الضعف، فبدأ
 من كبار المؤلفين ومن أعلام الطبّ
 والعربيّة فيما بعد.
 كما يقال عنه: إنه كان مرجّحاً في
 معالجة مرضاه، واشتهر، بطريقة
 خاصّة في تعامله مع مرضاه، وهذه
 الطريقة تعتمد على سلوك مرح
 وتقدم نصائح بأبيات شعرية، وظلّ
 دائما يحذر من الإفراط في أكل الطعام
 والتهالك على النساء. (11)
 ويقول عنه محمد إبراهيم الصبيحي
 في كتابه (العلوم عند العرب) كان ابن
 سينا "يتمثّل دائما بيتين له من الشعر
 اتّخذهما دستوراً علاجياً يرّدهما
 لنفسه وعلى غيره فيقول:
 اجعل غذاءك كلّ يوم مرّة
 واحذر طعاما قبل هضم طعام
 واحفظ متبكّ ما استطعت فإنّه
 ماء الحياة يصبّ في الأرحام!..
 وعدد كبير من المؤرّخين يعتبر أنّ
 الشيخ الرئيس ابن سينا هو من كبار
 الشعراء في القرون الوسطى وعرف
 عنه أنّه كثيرا ما استشهد بشعره في
 المعالجات الطبيّة لأنّه يرى أنّ للشعر
 تأثيرا خاصّا على المريض.
 وشخصيا اعتبر أنّ شعر ابن سينا
 ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي:
 أ/ اخوانيات
 ب/ أشعار فلسفيّة
 ج/ قصائد تعليميّة وحكم.
 وعلى محك النقد الأدبي يرى
 البعض من النقاد ومنهم راجي عنايت
 في كتابه (ابن سينا): "أن شعر ابن
 سينا يمتاز بالرصانة وإشراق الديباجة،
 ومعظم معاني الحكمة والحماسة يقول
 ابن سينا:
 هدّب النفس بالعلوم لتسرقى

إضافات في الفلسفة والمنطق والطب والأدب.

موفق الدين عبد اللطيف البغدادي:

وموقف الدين البغدادي.. هو طبيب عراقي وتنحدر أصوله من مدينة (الموصل)، ويعرف باسم (البّاد).. ولد هذا الطبيب في بغداد عام 557هـ (1161م).. ونشأ البغدادي في دار علم وديانة، حيث كان والده من علماء الحديث والقراءات، أمّا عمّه، فكان من كبار الفقهاء والعلماء في عصره.

وبحث في /صناعة الشعر/ وفي دقائق ودروس موفق الدين البغدادي بالعراق حتّى صار حجة في الكثير من العلوم، ثمّ زار الكثير من المدن الإسلاميّة كـ (القاهرة)، و(دمشق)، و(القدس)، ليتلمذ على كبار علمائها، وتمكّن بعد رحلات الاستفادة والتعلّم من أنّ علمائها، يتولّى تدريس الطبّ في الأزهر الشريف، وتفنّن في هذا المجال حتّى أصبح من كبار علماء الطبّ في مصر وبعد ما أضاف إضافات مهمّة في

وذّر الكل فهي للكل يئس
إنما النفس كالزحاجة والعلم

مُ سراج وحكمة الله زيّت
فإذا أشرق فتأثك حيّ

وإذا أظلمت فتأثك ميت
ولم يفت راجي عنايت أن ينهنا في
هذا الكتاب إلى أنّ ابن سينا لم يكن شاعرا كبيرا في القرون الوسطى فحسب بل وكان باحثا قديرا في فنّ الشعر، وألف كتابا في الشعر، وازن فيه بين أغراض كثيرة عند اليونانيين وعند العرب، كما أنّ له أكثر من

بحث في /صناعة الشعر/ وفي دقائق ومسائله وجزئياته.

وأفادنا أنور الرفاعي في كتابه (تاريخ العلوم في الإسلام، أنّ لابن سينا (أرجوزة في الطب) وتقع في 1314 بيتا من الشعر (13)

وهكذا يكون ابن سينا في تقديري الشخصي، موهبة فريدة، وأحد العلماء والأدباء الكبار في عصره، ومثل في نفس الوقت كلّ ما فيه استقلال في التفكير، كما كانت له

- حقول المعرفة، توفي ببغداد عام 629 هـ (1231م). (14)
- ويقدّم لنا شهادة عنه عمر رضا كحالة في كتابه: العلوم العمليّة في العصور الإسلاميّة فيقول: "هو عالم مشارك في الطبّ، وعلم الكلام، واللغة العربيّة وغير ذلك من العلوم والآداب، وقد اعتنى كثيراً بصناعة الطبّ لما كان بدمشق، وصنف كتاباً كثيرة في الطبّ وملحقاته". (15)
- ويقول عنه ابن أبي أصيبعة في (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) (إنّ مؤلّفات موفق الدين البغدادي بلغت 130 كتاباً ومعظمها في الطبّ والأدب واللغة). (16)
- ومن أهمّ كتبه: (قوانين البلاغة)، ومقالة في اللغات وكيفية تولّدها، وكتاب في الشعر، والجامع الكبير في المنطق والعلم الطبيعي والعلم الإلهي) ويقع هذا الكتاب في عشرين مجلداً وقيل في عشر مجلدات فحسب.
- واشتهر هذا الطبيب باستقلال الرأي وبمبولاته الأدبيّة، كما درس
- بالأزهر، وكان يلقي درسه في الطبّ ظهر كلّ يوم.
- ويذكر عبد الحليم منتصر في كتابه (تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه): "البغدادي عالم إلّا أنّه مع ذلك لغوي أديب..". ويقول عنه أيضاً: "...حمل أمانة العلم ولم يتوان يوماً على أن يغيد ويستفيد". (17)
- أبو بكر محمّد بن أبي مروان بن زهر المعروف بالحفيد المتوفّى سنة 590 هـ (1199م):
- وهو من أطباء إشبيلية وتوفي بها. والحفيد كان من حفاظ القرآن واهتمّ بدراسة الحديث، وله معرفة بالموشحات.. وأبو بكر الحفيد مهر في الطبّ والأدب.. وأحمد شوكت الشطي في كتابه: (تاريخ الطبّ وآدابه وأعلامه) يشير إليه فيقول: "أخذ الحفيد صناعة الطبّ عن أبيه، وكان حافظاً للقرآن، متعمّقاً في الحديث مشغولاً بالأدب، وله موشحات شعريّة مشهورة". (18)
- ومن قصائد هذا الطبيب الشاعر

وفتحت صفحاتها لكلّ الوطنيين من
الأدباء والأحرار.

وبدون شكّ، فهذا الشّاعر تأثر منذ
فجر شبابه ببيئته الأدبيّة، كما انتفع
بتوجيه والده، الَّذي كان يجمع أعظم
الأدباء والمفكرين في ندوته الأدبيّة
الأسبوعيّة في مزلم وقثد. (19)

وفي أيام شبابه ذاق الشاعر من
مرارة الأيام الشيء الكثير،
وبالخصوص بعد انفصال أمّه عن أبيه
الأمر الَّذي تجرّع منه هذا الإحساس
بالألم والَّذي بدا واضحا في بعض
قصائده. وفي هذه المسحة من الحزن في
حياته.

ويرى عارفوا الدكتور محمد عبد
المنعم خفاجي: أن أبا شادي كان
بادي الذكاء وعاشقا لحرية بلاده،
وللحركة الشعريّة منذ دراسته، (20)
ويورد مؤلّفوا كتاب: "الشّابي ومدرسة
أبولو في ص 32 عن أبي شادي وعن
حماسه للحركة الوطنيّة مقولة أبو
شادي مؤرخا لنفسه ومتحدّثا عن
حركة مصطفى كامل: "كنت في هذه

عندما تقدّمت به السنّ قوله:

إنّي نظرت إلى المرأة إذا جلّيت
فأنكرت مقلّتي كلّ ما رأنا
رأيت فيها شيئا لست أعرفه
وكنت أعرف فيها قبل ذاك في!
فقلت أين الَّذي مثواه كان هنا
متى ترحّل عن هذا المكان متى؟
فاستجھلّني وقالت لي وما نطقّت:

قد كانت ذاك، وهذا بعد ذاك أتى
هوّن عليك فهذا الإبقاء له
أم ترى العُشبَ يفتّى بعدما نبتا
كان الغواني يقلن يا أعشى فقد
صار الغواني يقلن اليوم يا أستا!
أحمد زكي أبو شادي:

ولد الطيب الشّاعر أحمد زكي
أبو شادي في (حيّ غابدين) بالقاهرة
في فبراير سنة 1982 وتوفي بواشنطن
في 1955/4/18م
ونشأة هذا الطيب الشّاعر، كانت
في مصر، حيث كان والده محاميا
مشهوراً وصاحب ميول أدبيّة، ومكنته
مواهبه من إصدار جريدة (الظاهر)،
التي تبنت قضايا مصر القوميّة،

مدارس الطبّ بـ (جامعة لندن) وتخرج من هذه الجامعة عام 1915، ثمّ تخصّص في علمي الأمراض الباطنيّة والجراثيم، وفاز بعد سنتين بـ (شهادة الشرف) وجائزة "وب". (23)

وفي (لندن) أحبّ الشاعر بنتا أنقليزيّة وجاء بها إلى مصر عام 1922، وبدأ هنا كأوّل مرّة يعمل

بوزارة الصحة، وفي هذه المرحلة كان الناس يتلقفون قصائده وكان سعيه منها أن يبعث الجذّ والهمّة لتحريك النشاط الأدبي وتشجيع المواهب الواعدة.

وفي /الاسكندريّة/ وعندما انتقل إليها أنشأ أبو شادي (جماعة الأدب المصري) وكانت هذه التجربة، تجربة ثريّة بحق، ثمّ عمل في هذه المدينة مديراً للمعمل البكتريولوجي أوّلاً وأستاذاً بـ (كلية الطبّ) بجامعة الاسكندريّة/بعد إنشائها سنة 1942م.

وهنا يحسن أن أذكر بشيء هامّ وهو أنّ أبا شادي كان الداعي الأوّل لإنشاء (جامعة الاسكندريّة) وهو الحريص على تحقيق هذا الأمل منذ سنة 1926م

وتوفّق أبو شادي في (الاسكندريّة)،

الفترة متحمساً للحركة الوطنيّة بزعامة مصطفى كامل، وقد فتح عيني لذلك والذي الوطني واهتمام والذي أيضاً، وما كانت تذكره لي بالفخر عن أخيها مصطفى نجيب الذي لو لا وفاته المبكرة، لكان خليفة /مصطفى كامل/ لأنّه كان الساعد الأيمن له (قبل محمّد فريد...) (21).

ومرّت سنوات.. ويلتحق الشاعر بكلية الطبّ، ويصادف أن أحبّ ابنة شقيقة زوج أبيه، وهام بالفئة اللعوب لكنّها تركته وتزوجت من غيره.

وتلك كانت صدمة جديدة تصيب شاعرنا الحساس في سنة 1911 ، وأشعلت هذه التّكبة فواده ممّا اضطرّ إلى الانقطاع عن الدراسة لمُدّة عام واحد، فلحاً إلى السياحة فترة، ثمّ توجه وبناء على نصائح أطبائه إلى /استمبول/ ومنها إلى بريطانيا، وأقام في (لندن) عشر سنوات : (1912-1922). (22)

وممّا يجدر أن أشير إليه هو أنّه في فترة إقامته بلندن ثمّ التحق بإحدى

شاديا بالطلاق من شعري الباكي
أغني لجلدهم، ما أغني
وحياتي لعمهم في كفاح
ككفاح الشعاع في وسط دجن
مثل لن تحد نوعا وعودا
كنجوم السماء في كل فن
وتبلغت بالعذاب وباللؤس
مرارا وكل حظي التجني
ويقول في قصيده هذا أيضا :
ما كفاهم ألي تناسيت نفسي
فوق نسيانهم حقوقي وأمني
ما كفاهم ألي إرتضيت شقائي
في جزاء ويهدمون وأبني
ما كفاهم هذا وهذا، فنادوا
بعقوقي وما راعوا حتى سني
ثم حالوا بين المثالية العلم
سيا لفكري وبين شعبي وبين
فرحلت حيث يحترم الأحرار
وحيث الهواء طلق للهنى
وأظل الوفي رغم اغترابي
لبلادي ما غيت قط عتي
وفي (نيورك) رحبت به الجماعات
الأدبية، وبدأ يكتب في صحف كثيرة

لكي يسهم في الحياة الأدبية بنصيب
وافر، فأصدر عددا من المجلات الراقية
ك: (أدي) و(مملكة التحل) ومجلة
الإمام)، وفي هذه المدينة بالذات، أصدر
ديوانه المعروف بـ (عودة الراعي)
الصادر عام 1942 ومن محبته/
للأسكندرية/ وتأثره بها، تجد صورا
مشرقة لألوان حياته ومشاهده
وذكرياته عن هذه المدينة في ديوانه (من
المساء) (24).

أبو شادي في أمريكا :

وفي متواليات الأيام، وحينما بدأت
— جامعة الأسكندرية — تفكر في تعيينه
عميدا لكلية الطب، بدأت الوشايات
تحاك ضده.. ومن المفارقات أن الشاعر
أحمد زكي أبو شادي عزّ عليه في
البداية أن يرحل عن وطنه، الذي أحبه،
لكنه بعدما أصبح غريبا في وطنه، قرّر
أن يهاجر إلى أمريكا، عام 1946 وودّع
مصر بقصيد رائع نشر بعد سفره
وأهداه إلى أستاذه خليل مطران
(1870 — 1949م) ويقول فيه :

سألوني لم ارتحلت أكاكني

لم أجبههم بسروني في نصف قرن

منها: (الهدى)، و(مَجَلَّةُ العَصْبَةِ
الأندلسية).. وظلَّ يرأسل المجلات
الأدبية في مصر والعالم العربي، كما
واظب على إلقاء محاضراته من (صوت
أمريكا) مرتين في الأسبوع.

ومرَّ الأيام وملتحق الشاعر الطيب
أحمد زكي أبو شادي بالأمم المتحدة،
حيث عمل مستشاراً للوفد الأمريكي
عند تأسيس الأمم المتحدة والدورات
متواليات ثلاث، كما انتدب كمستشار
للحكومة السعودية في هذه المنظمة.

وظهر على هذا الطيب كفاءات
عالية في نشاطه في أمريكا، لئلاَّ اختير
الرجل كعضو في مجلس الرابطة الدولية
لحقوق الإنسان، كما قدرته الحكومة
الأمريكية والجامعات والمباني العلمية
في هذا البلد.

ومجمل ما يقال عن هذه الشخصية
الأدبية أن أبا شادي الطيب والشاعر،
أديب كبير ومناضل في الحركة الأدبية
والشعرية في عصر شوقي، وحافظ،
ومحرم، والملازني، والعقاد، ومطران،
وأحمد أمين وزكي مبارك، وتنبأ بموته
في ديوانه (من السماء)، حيث أنشد

يقول:
أسفا أعود إلى السماء كما أتيت بنبع
فتي
لم ألق في دنيا الأنام سوى للمهازل
والتحتي

وعندما مات أبو شادي أدركنا أن
هوايته الأدبية كانت طاغية على الطب،
حيث أصدر ست مجلَّات متخصصة
منها : (أبولو) الصادرة في سبتمبر
1932، كما ترك لنا نحو تسعين
كتاباً منها 26 ديواناً شعرياً، وعشر
قصص، والعديد من المسرحيات
الشعرية الهادفة.

وفي جولة سريعة لبعض دواوينه كـ
:(الشفق الباكي) و(أشعة وظلال)،
و(الينوع)، و(أطيايف الربيع)، و(فوق
الغياب) و(عودة الراعي) و(ديوان
الريف)، نرى أبا شادي ثائراً على
الأوضاع، وناشداً للحرية، وحبياً
للفقراء، وداعياً إلى الطلاقة الفنية
والتأمل النفسي العميق، وفي نفس
الوقت نافحاً لثورة فنية، عمادها
التحديد وأصداء الحياة ..

رائحة للفل والياسمين ... رائحة للفرح...

بقلم : كوثر خليل

تلك المطارح من الذاكرة، ذاكرتي المشحونة بصور عالم طفولتي، صور تلح وتفتح حاضري زمني.

تجمّأت على لحام الصمت الذي كان يضرب الحصار على أفراد العائلة: "صورة فاطمة وهاجر تجلسان عند عبة غرفتهما، تراقبان بصمت

فالجوهان بيدوان لي اليوم أشبه بمنحوتتين تشهدان على زمن خاتته المعرفة فحاشهما الكلام (...)

أحد يعبر تحت قطرة الباب، نحيل، شاحبا، مطبق الشفتين على لسانه، لا أسمع صوته إلا نمتمة، أو كلاما مرتجفا

كأنه من صوته تيار كهربائي ضعيف، فتلعثم النطق وخان صاحبه التدفق الفصيح (...)

صورة الحاج عبد القادر يداوي ابنه الصغير من آلام ضربه على بطنه... مغطس ماء ساخن يشفيه - يظن ولا يعرف أنه بذلك سيكيه

وأتمه بدل الدموع دماء لقد التهبت

قرأت مقالا للدكتورة عيني العيد بتاريخ 27-03-2001 في ركن "مزفا الذاكرة" من مجلة العربي الكويتية تحت عنوان "رائحة للفل والياسمين" وأعترف أنه كان مقالا مختلفا، نصّا أنثى إلى أبعد الحدود، بتداعياته، بذكرياته، بأوجاعه وبطموحه اللامشروط.

هذه الدكتورة متخصصة في النقد الأدبي ولها من الكتب "في القول الشعري"، في معرفة النص: الأدبيات

في النقد الأدبي"، "الراوي: الموقع والشكل"، الكتابة: تحوّل في التحوّل ولقد بدت في هذا النص أبعد ما يكون

عن الأكاديمية فتحدثت عن بيت الطفولة القديم الواقع على الطرف الجنوبي من مدينة صيدا القديمة وكيف

أنه أثر فيها وهو الذي حدّد توجهها نحو مجال النقد الأدبي تقول:

"اغتربت النقد بحثا عن المعرفة. اخترت الكلام بمقتضى المناسبة، فلا أشير إلى

أحشاء الطفل ومات في الصمت" كانت الحياة تمرّ بلا أسئلة تدق جدران المعرفة المغلقة كان هؤلاء الناس كانوا يأتون إلى الدنيا، فقط لينظروا رحيلهم عنها".
هذه الوجوه - العيون المغلقة على

آلاف الأسئلة أقنعة تصنع خطابا ثلاثي الأبعاد - بين الكتابة وذاتها، بين الوجه وصاحبه، بين الكتابة والوجوه - دون أن تعترف به فتضع مقاطع مبتورة وراء النظرات الساهية الساهمة ويتلاشى صداها شيئا فشيئا دون أن تظهر بحلاوة اللقاء فتشكّل كلاما أو براءة الخلاص

فتعاقب الفضاء الخارجي... "وكنّا نتشابه بشعري والذي نصف "لا أريد أن أكون مثلهم. رفضت التمادي معهم. لكنني كنت أحلمهم داخلي"

إنه قدر الذات المبدعة في محاولة السمو الذي يحدث تمزقا في داخل الفرد بين واقع هو منه وواقع إليه يتطلع وتبدأ مظاهر الرفض. لذلك العالم منذ الصغر "في المدرسة كرهت مسطرة المعلمة ورفضت درس الاستظهار كرهت أن نطيع دائما، أن نحفظ دون

للإختلاف" وربما تنامت مسافات الرفض حين يتفتق الوعي بالأنوثة فرج الكائن - الإنسان من الداخل فيصير البحث عن الذات هاجسا، بحثا في الزحام، زحاما من المظاهر والعلاقات المفروضة داخل المحيط الواحد، بفرضا الكبار وبشقى

بما الصغار. "وكنّا نتشابه بشعري والذي نصف "نوب" (لفة كبيرة) من القماش الواحد وتقص أمني أمتارا متساوية وتوزع على بنات خالتي وأعمامي. وكن يلبسن أثوابا لا تختلف... لا تميز، كان على الأثواب أن تعدل وترضي، كي لا تعرف وتثير الغيرة أو الحسد. كانت الأثواب تمحو الرغبة في الإختلاف... المختلف يلفتني، يجذبني، يحزنني التشابه، يحزنني أن لا أرى لي وجها خاصا في المرأة، وجها هو وجهي أنا لا وجوه

في قلوبنا وأبصارنا. نأمل زهرة * ليلة
القدر* التي لا تشبه أي زهرة أخرى
تفتح ليلة واحدة وتطبق أوراقها على
ذاتها تنتهي في الصباح دون أن تستعيد
شكلها في الليلة التالية ترحل زهرة ليلة
القدر الفريدة لكن رائحة الفل
والياسمين تبقى، تصرّ على أن تسكن
فضاءنا..*

مرفاً للذاكرة أعود إليه أمرٌ بذاك
المكان، لا أجد بيتنا القديم لقد هدم..
إني أسكن اليوم بيتاً مختلفاً، لكن رائحة
الفلّ والياسمين تفوح من تحت القناطر
والأقواس التي كانت، تفوح من روعي
المعلقة فوق مراقبتها..*

وإذا كانت رائحة الفل والياسمين
تشيع في كيان هذه المرأة الحقيقية معاني
الصمت والتخدي فهي في داخلي معنى
للفرح الفل والياسمين له اتساع السماء
ولون الحرية وعمق البحر الفل والياسمين
شكل المنازل البيضاء ذات الأبواب
الزرقاء الفل والياسمين روح بلادي رقيق
عذب كالماء بائر كالماء الفل والياسمين
رائحة للفرح، رسالة قصيرة بكلمات
حنون..

الآخرين. كيف أكون أنا؟
الكبريات: الأم، الأخت الكبيرة،
الحالة... نموذج والمثال إذا دام
وتكرّس... إذا لم تترك العلاقة به مسافة
للتنفس، لنمو الذاتي المختلف يصبح
مثل عباءة سوداء تلفّ المشهد أمام
العيون الباحثة عن الضوء. وكانت
صورة الكبريات تحتل مرآتنا، وتقيد
حريتنا وتلجم قدرتنا على صوغ ذواتنا
التميزة*

بيتنا القديم أعود إليه ناقدة لكنه يبقى
مرفاً جميلاً. أحنّ إليه حيناً غير وردي
فلقد كان حقاً وكانت معنى من معاني
هويتي وانتمائي...

وكان حقاً جميلاً بتلك الأماسي..
أماسي الصيف فوق السطوح المتقاربة
نتقل بينها بقفزة صغيرة فوق جدار
مشترك... لم نكن نعرف الهوة التي
ابتعدت بعضنا عن بعض وحوّلت
السطوح إلى متاريس..

نلتقي كنا، فوق السطوح المتقاربة
المفروشة أرضها الباطونية بمحصر
عكاوية... الوقت بعيد غروب
الشمس، مازالت آثار الأشعة الراحلة

أسرار تركيبة الجينوم البشري

بقلم : لطفي الشارقي

تقديم :

اكتشاف وسائل بيوتكنولوجية
جزئية إلى قراءة الشفرة الوراثية
لكامل الجينوم البشري وقد أعلن
عن إتمامه سنة 2001 في مخابر
أمريكية وبريطانية. فما هي بنية هذا
الجينوم؟ وما هي أسرار هذه البنية؟
وما هي فوائد إتمام تشفير الجينوم
البشري؟ وإلى أي مدى يمكن
التسلّم بفائدة هذا الإكتشاف؟

I/ بنية الجينوم البشري:

يتكوّن الجينوم من سلسلة
طويلة للحمض النووي DNA
والمكوّن من تتابع أربع
نيكليوتيدات مختلفة حسب القواعد
النيتروجينية المكوّنة لها: الأدينين
(Aenine) والقوانين (Guanine)
والسيتوزين (Cytosine) والثيمين
(Thymine) ويسمّى هذا التتابع
بالشفرة الوراثية (يتكوّن الجينوم
البشري لدى الإنسان من 3.2 مليار

ينضوي تحت لفظ "الجينوم" أو
جهاز الموروثات شريط الحمض
النوي DNA والمتواجد بالخلية
والذي ينتظم داخل نواتها على
شكل جسيمات تعرف بالصغيات
(أو كروموزومات)، تحمل هذه
الصغيات آلافاً من الوحدات
الوظيفية والتركيبية والمعروفة
بالمورثات (أو الجينات) وهي
المسؤولة عن نقل الصفات الوراثية
من الآباء إلى الأبناء.

يوجد في نواة الخلية الجسمية
للإنسان 23 زوجاً من الصغيات.
22 زوجاً من الصغيات الجسمية
وهي متماثلة عند الرجل والمرأة
وزوج من الصغيات الجنسية تتكوّن
من صغيين متماثلين عند المرأة XX
وغير متماثلين عند الرجل XY.
سعى علماء الوراثة الجزئية منذ

مناطق تكثر بها الطفرات البسطة
والمعقدة ينتج عنها تنوع فى هذا
الجينوم البشرى.

—جيم تتمثل الشفرات

الوراثية غير الحاملة للجينات:

تتمثل هذه الشفرات فى تنابعات
قصيرة لكنها فى نسخ عديدة متتالية
وقد قسمها العلماء إلى أربعة أقسام
—شفرات سين "Sines" تمثل

85000 نسخة

—شفرات لين "lines" تمثل

1500000 نسخة

—شفرات مشابهة لجينوم الفيروسات

تمثل 450000 نسخة

—شفرات متنقلة (Transposons)

تمثل 300000 نسخة

كما تقسم هذه الشفرات حسب

طول وحدتها المعادة إلى

* الحمض النووى الساتيليتى DNA

satellite وتعدّ الوحدة المعادة

بالألف قاعدة نيتروجينية.

* الحمض النووى الساتيليتى الصغير

DNA minisatellite وتتكوّن

من أزواج القواعد النيتروجينية
وبعدّ الجين جزء من هذه الشفرة
وهو المحدّد للصفات الوراثية. تتغير
الشفرة الوراثية وفقا للطفرات
الجينية والتوليفات الوراثية الّتي
تحدث أثناء تنسخ الجينوم والانقسام
الخلوى. وهو ما يؤدّي إلى تنوع
كبير فى الشفرة الوراثية.

1/ أسرار الشفرة الوراثية عند

الإنسان :

بعدّ طول الجينوم البشرى بالقاعدة
النيتروجينية 3.2 مليار وهو من

أكبر الجينومات طولاً غير أنّ نسبة

قليلة جدّاً من هذا التابع تعدّ حاملة

للجينات والّتي تقدّر بـ 32000

مورثاً وهو عدد قليل نسبياً إذا

قارناه بكائنات أخرى (ذبابه الخلّ

لديها 8 صبغات وتعدّ 26000 جينا

والأرز : 45000 جينا) ويعزى هذا

العدد القليل نسبياً من الجينات لدى

الإنسان لكون 98.5 ٪ من

الشفرة الوراثية للجينوم لا تعمل

موروثات. وهي غالباً ما تشكّل

لرصد الجينات مما يسهل تحديدها واستنساخها لمعرفة وظائفها.

-دراسة البنية الوراثية للعشائر والصلات بينها.

-تعتمد في تحديد البصمة الوراثية للأشخاص ومعرفة أباء الأبناء بمجهولي الهوية.

-في قضايا الاغتصاب يتم التعرف

على الجاني بتحليل الحمض النووي

المتواجد بالخلايا الجنسية للسائل

النوري العالق بمهبل الضحية.

-تحديد المجرم من المتهمين في قضية

ما وذلك بتحليل الحمض النووي

باستخراجه من قطرة دم أو شعر

علق بمكان الجريمة.

2/ الجينوم البشري في دراسة

العشائر البشرية :

يعتمد علماء الانثروبولوجيا الوراثية

على الجينوم المتقدري والصبغي Y

في دراسة العشائر البشرية نظرا

لكونها أحادي الوارثة حيث يورث

الصبغي Y من الأب لابنه وتورث

الأم الجينوم المتقدري لأبنائها

الوحدة المعادة من 8 إلى 100 قاعدة وعدد النسخ بين 5 و1000.

*الحمض النووي الساتليتي المجهري DNA microsatellite ويعدّ

طول الوحدة المعادة من 1 إلى 6

قواعد ويكون عدد النسخ المتتابعة

بين 10 وثلاثين وهذا النوع الأخير

يمتاز على سابقه بتوزيعه المتحانس

على كافة الجينوم البشري.

II/ أهمية دراسة الجينوم البشري:

1/ استغلال تنوع الشفرة:

كما سبق ذكره تعتبر الشفرة

الوراثية غير الحاملة للحيات ذات

كبير. وتعتبر خاصية التنوع مهمة

جدا في دراسة الأفراد والمجموعات

البشرية فإذا نظرنا مثلا إلى

الساتليتيات المجهريّة نجد أنّها سريعة

التطور عبر الأجيال بإضافة

الوحدات أو نقصانها وقد استغلّ

تنوعها في :

-رصد الجينات وهي ثمائل

العلامات الكيلومترية التي تحدّد

مدى اقترابنا من المدينة فهي تعتمد

تعويض الجينة المعتلة بجينة سليمة وهو ما يطمح إليه العلماء لتفادي استعمال المرضى لأدوية مقلقة طوال حياتهم. وتجري هذه التحارب الآن على نماذج حيوانية حوّرت جينياً لفهم تلك الآليات. ولقد سمح في معظم دول العالم امكانية استنساخ خلايا بشرية جذعية لاستعمالها في تعويض خلايا

أخرى لمعالجة أمراض عصبية مثل مرض الزهايمر Alzheimer الذي يفقد المريض فيه الذاكرة الجينية.

III/ الجينوم البشري

والأخلاق البيوطية:

بقدر ما يعتبر هذا الاكتشاف (الجينوم البشري) مفيداً بقدر ما يخفينا إذ أنه بمثابة السلاح ذي الحدين وتعزى مخاوفنا إلى كون الشفرة الوراثية للإنسان تقرّ لدى بعضهم بوجود استعدادات وراثية للإصابة بأمراض خطيرة أو مزمنة مقعدهم عن العمل كمرض ارتجاج هيتينقتون " Chorée de

وبالتالي تغيب تنوعهما إلى إثبات حقائق أركيولوجية وحفرة منها أنّ الإنسان العصري (Homo sapiens-sapiens) قد وجد بأفريقيا شبه الصحراوية وقد غزا بقية القارات لاحقاً انطلاقاً من هذه القارة الأم فكانت آسيا ثم أوروبا وشمال إفريقيا ثم مؤخرها القارة الأمريكية.

3/ الجانب الطبي:

يعتبر القرن الحادي والعشرون قرن البيولوجيا الجزيئية، إذ أنه شهد ثورة بيوتكنولوجية في الوسائل والأفكار

ولعل أبرز ما يمكن الحديث عنه هو اكتشاف الوسائل والمواد الكافية للاستنساخ الجيني. وتحتّم معظم المخاطر وفرق البحث في هذا المجال حالياً بالدراسة الجزيئية للحميات المسؤولة عن الأمراض المستعصية كالسرطان والسكري أملاً في فهم آلياتها. أو لغاية إيجاد علاج وقائي كالعلاج الجيني. Thérapie génique يتمثل العلاج الجيني في

"Huntington" (وهو مرض

يصاحب المصاب به فقدان التوازن

مع ارتخاء عضلي) ومرض الرعاش "

"Maladie de perkinson". حيث

أن تحديد الشفرة الوراثية والذي

تطالب به بعض الشركات في العالم

يحرم الأشخاص الذي لديهم هذه

الاستعدادات من حقوق التأمين

والحصول على وظيفة. فضلا عن

أن هذا الجينوم يرجح أن يستعمل

لغايات تجارية. كما يخشى تأويل

بعض المعطيات في هذا الجينوم

للتمييز العنصري والتفرقة، وبناء

على ما سبق ذكره فعند معالجة

للمعلومات المتأتية من الكشف

الوراثي ينبغي ملازمة السرية والحذر

في تأويلها.

خلاصة :

أردت من خلال هذه المداخلة

إعطاء لمحة عن الجينوم البشري، بنيته

وتطبيقاته وآمل أن تكون كلمة

"أسرار التي وضعت كعنوان للمقال

متماشية مع ما ذكر إذ أن ما

اكتشف في هذا الجينوم قليل جدًا

أمام حقائقه من ثم مثلا فهم تواجه

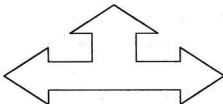
98.5٪. من الشفرات دون وظيفة

ظاهرة ثم اختواء هذا الجينوم على

تاريخ البشرية، كما نأمل أن يستغل

دائما في تحقيق إنسانية الإنسان

وعدم المس بكرامته.



من روائع الشعر العربي في الشباب والمشيّب

-1-

بقلم : عبد المجيد براهيم

تعريف كلمة الشباب:

يذكر الدكتور المنجي الزبيدي (وهو مستشار لدى السيد وزير الثقافة التونسي) في بحث له بعنوان "مقدمات لسوسولوجيا الشباب" بالعدد 3 من مجلة "نزوى" لسنة 2002 صفحة 28 ما قوله : (كلمة "الشباب" كلمة إشكالية.. يمكن اعتبارها مجرد كلمة، كما يمكن نفي وجودها أصلا، كثر إستعمالها في مجالات إهتمام متنوعة ومختلفة فوجدت في الدراسات والأعمال الإجتماعية والإقتصادية والنفسية والتربوية... كما ذاع صيتها في مجالات الخطاب السياسي ووسائل الإعلام الجماهيرية. مع ذلك فنحن لا نقف لها على مفهوم محدد، هي كلمة اكتسبت من وراء تعدد الإستخدامات أوضاعا أفضت في أوقات كثيرة إلى لبس في المعنى وغموض في المقصد. لكن لم ترد في القرآن الكريم فإن لها من المرادفات عدة منها - "فتى" وجمعها "فتية":

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق، إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)، وغلّام وصبي في إشارة إلى عيسى ويحيى عليهما السلام: (قالت آتى يكون لي غلام ولم يحسنني بشر ولم أك بغيا) و(يا يحيى خذ الكتاب بقوة وأتيناه الحكم صبيا).

أصل كلمة "شيب" وتعني الفتاة والحدأة والجمع "شباب" و"شبيبة" ومرادفاتها الكثيرة منها: يافع ومراهق وصبي وفتى وغلّام، وهي كلمات لا تدل على مراحل عمرية محددة ومفصلة بقدر ما تشير إلى خصائص جسدية وأخلاقية ونفسية

ووجودية آنية لفترة من فترات الحياة، هي إجمالاً خالصة القوة والنشاط والجمال والذكاء والشهامة.

وتترواح المعاني والدلالات بين السلب والإيجاب إلى حدّ التناقض. فكلمة "المرهق" ومنها "المراهقة" تعني الرجل المتهم دينه، و"الرهقة" هي المرأة الفاجرة. كما تدل كلمة "صبا" ومنها "صبي" على الخروج عن دين القبيلة ؟، يقال تصبي المرأة أي خدعها وفتتها.

وبالمقابل تحمل كلمة "فتى" معنى الإكتمال : (ليس الفتى بمعنى الشباب الحدث إنما الكامل والجزل من الرجال ومعنى الجذ والإمتناع عن اللعب: (إذا أفتيت الجارية منعت من اللعب مع الصبيان والعدو معهم، وعذرت وستر في البيت). ومعنى القوت والبيان، الفتيا، تبيين المشكل من الأحكام... فكانه يقوى ما أشكل بيانه ويصير "فتياً" قويا وأصله من الفتى والحديث (السن).

1- الشباب لغة

شب يشب شباباً، والشباب : الفتا وما شبَّ به، وشب النار أوقدها، الخمار والشعر زاد لونه وجماله وقالت العرب: من شبَّ على شيء شاب عليه. فالشباب دلالة على الروح المعنوية المتقدمة في حياة الإنسان أولاً وثانياً هي مرحلة وسطى من عمر الإنسان يكون فيها على أعلى درجة من الحيوية والقوة والنشاط والحب والجمال والإستمتاع إلخ... ولقد كثر في زماننا شباب "مكتهلون" تعبون بسبب إفتقادهم لضروريات المتعة بحرارة الشباب من الحب العفيف والمال الحلال والبيت السعيد والعمل القار وهلم جرّاً... دعنا من ذلك كله لتحدث عن الشباب في رأي الشعراء. ولو تصفحنا تراثنا الشعري فإننا نجد بالخصوص حين عبد ربه الأندلسي يتصدر القائمة الطويلة التي تحدثت عن الشباب والمشيب ثم أبي العلاء المعري وابن الرومي وغيرهم كقول أبي العتاهية :

عرى من الشباب وكان غضا
كما يعرى من الورق القضيب
ألا ليت الشباب يعود يوما
فأخبره بما صنع المشيب

أو كقوله :

إن الشباب حجة التصابي
روائح الجنة في الشباب

أو كقوله :

إن الشباب والفراغ والجده
مفسدة للعقل أي مفسدة
قال سلمان ابن أبي الشيخ : مررت أمام مسجد بغداد فسمعت شاعرا بداخله
يقول :

لطفى على ورق الشباب
<http://Archivebeta.Saknini.com>

وغضونه الخضر الرطاب

ذهب الشباب وبان عني
غير منتظر الاياب

فلأ بكين على الشباب
وطيب أيام التصابي

فلأ بكين من البلى
ولأ بكين من الخضاب

إني لا أمل أن أخلد
والمنية في طلابي

ولما سألت عنى يكون هذا فقيل لي أنه أبو العتاهية.

ويرى إمري القيس الشباب بأنه زمن الحب والتعلق بالحسان قوله

طحا بك قلب بالحسان طروب

بعيد الشباب عصر خان مشيب

فالشباب مرحلة زمنية في حياة الإنسان إقترنت بعنفوان الرغبة في البذل والعطاء لبلوغ المرام لذلك عادة ما يكون العطاء سخيا وبلا حدود من الذات أو من طاقة الجسم فحين تقول : فلان شاب على الدوام، فإن المقصود بذلك دائم العطاء برغم الكبر، وللشباب ميزات خاصة في الجسم والحب والجمال والبحث عن السعادة تترواح ما بين الخامس عشر عاما والأربعين على حد قول أبي العلاء المعري:

وما بعد الخمس عشر من صبا

ولا بعد الأربعين صباء

قال أبو عمر بن العلاء ما بكيت العرب شيئا ما بكيت على الشباب وما بلغت به ما يستحقه وفي ذلك يقول أبو تمام :

يذكرني الشباب جنان عدن

على جنبات أنهار عذاب

تفيء ظلها نفحات ريع

تهز متون أغصان رطاب

إذا ماست ذوائبها تداعت

بواكي الطير فيها بانتخاب

يذكرني الشباب رياض حزن

ترثم بينها زرق الذباب

إذا شمس الأصائل عارضتها
 وقد كربت توارى بالحجاب
 وألقت جنح مغربها شعاعا
 مريضاً مثل الحاض الكعاب
 يذكرني الشباب سرات نهي
 غمر الماء مطرد الحجاب
 قرته مزنة بكر وأضحى
 ترقرقه الصبا مثل السراب
 على حصباء في أرض هجان
 كأن تراها لها ذفر للملاب
 له حبك إذا أطردت عليه
 قرأتها سطوراً في كتاب
 يذكرني الشباب صبا بليل
 رسيس المس لاغية الركاب
 أنت من بعد ما إنسجبت ملياً
 على زهر الربا كل إنسحاب
 وقد عبقت بها ريا الخزامي
 كريا المسك ضوع بانتهاج
 يذكرني الشباب وميض برق
 وسجع حمامة وحنين ناب
 فيا أسفا ويا جزعا عليه
 ويا حزنا إلى يوم الحساب
 وقال الأصمعي : أحسن أنواع الشعر المراثي والبكاء على الشباب، وقيل لكثير

عزة : مالك لا تقول الشعر ؟

قال ذهب الشباب فما أطلب ومات عبد العزيز فما أرغب.

وقال عبد الله ابن العباس : "الدنيا العافية، والشباب الصحة.

وقال محمود الوراق :

أليس عجباً بأن الفتي

يصاب ببعض الذي في يديه

فمن بين باك له موجع

وبين معز معد إليه

ويسلبه المشيب شرح الشباب

فليس يهزوه خلق عليه

وقال ابن حازم :

ولكى الشباب فحلّ الدمع ينهمل

فقد الشباب يفقد الروح متصل

لا تكذب فما الدنيا بأجمعها

من الشباب بيوم واحد بدل

وقال جرير :

ولكى الشباب حميدة أيامه

لو كان ذلك يشتري أو يرجع

وقال صريع الغواني :

وأما لأيام الصبا وزمانه

لو كان أسعف بالمقام قليلا

سل عيش دهر قد مضت أيامه

هل يستطيع إلى الرجوع سبيلا

وقال الحسن ابن هانئ (أبو نواس):

وأراني إذ ذلك في طاعة الجهل
وفوقي من الصبا إمرء
ترب عيش لربطني فضل ذيل
ولرأسي دؤابة فرعاء
بقناع من الشباب جديد
لم ترفعه بالخضاب النساء
قبل أن يلبس المشيب عناري
وتلى عمامي السوداء

وقال أعرابي :

لله أيام الشباب وعصره
لا يستعار جديده فيعار
ما كان أقصر ليله ونهاره
وكذلك أيام السرور قصار

وقال الأندلسي :

ولّى الشباب وكنت تسكن ظلّه
فأنظر لنفسك أي ظل تسكن
ونفى المشيب عن الصبا
يدلى بمحجته إلى من يلقن

ومن قوله أيضا :

قالوا شبابك قد مضت أيامه
بالعيش قلت وقد مضت أيامي

لله أية نعمة كان الصبا

لو أنها وصلت بطول دوام

حسر المشيب زانة عن وجهه

وصحا العواذل بعد طول ملام

فكان ذلك العيش ظل غمامة

وكان ذلك اللهو طيف منام

ومن قوله كذلك :

ولو شئت راهنت الصبا والموى

وأجريت في اللذات من مائتين

وأسبغت من ثوب الشباب وللصبا

على ردها معلم الطرفين

ومن قوله كذلك :

كنت الف الصبا فودعني

وداع من بان غير منصرف

أيام الموى كظل أسحلة

وإذا شبابي كروضة أنف

ومن قوله أيضا :

شبابي كيف صرت إلى نفاذ

وبدلت البياض من السواد

وما ابقى الحوادث منك إلا

كما أبقيت من القمر الدعاذي

فراقك عرف الأحزان قلبي

وفرق بين جفني والرقاد

فيا لنعيم عيش قد تولى
 وبها لغليل حزن مستفاد
 كأني منك لم ارع برع
 ولم أرد به أحلى مراد
 سقى ذلك الثرى وبلا لثريا
 وغادى نبتة صوت العوادي
 فكم لي من غليل فيه خاف
 وكم من عويل فيه بادي
 زمان كان فيه الرشد غيا
 وكان الغي فيه من الرشاد
 يقبلني بدل من قبول
 ويسعدني بوصل عن سعاد
 وأجنيه فيعيني قيادا
 ويخيني فأعطيه قيادي

2- المشيب

أو الشيب هو بياض الشعر بعد سواده. وعادة ما يبيض شعر الرأس في سن متأخرة من عمر الإنسان أي بعد طول العمر وتختلف آراء الناس في تقدير الشيب فمنهم من يعتبره علامة وقار وهيبة وجمال ومنهم من يعتبره إذانا بالهرم والكر وشعورا بالقلق والمزمنة. وحدث الشيب يعود إلى عوامل صحية ونفسية بدرجة أولى ونوع المأكولات التي يتناولها الإنسان وكذلك عوامل هرمونية وراثية كالتي نراها لدى بعض الأطفال الذين يولدون وفي رؤوسهم خصلة من الشعر الأبيض. فاستعمال العطورات والصبغيات يعثّل في بياض شعر الرأس واللحية والتأثر بالأحاسيس المركبة لحياة الإنسان كالحب العذري والنحل والخوف والتعب

والمشكلات الإجتماعية التي تغتصب الراحة والطمانينة من قلبه الدافئ كلها
تساهم في الإسراع بابيضاض شعر الرأس.
وللشيب في الشعر العربي أقوال بليغة .
يقول ابن نباتة :

تبسم الشيب في وجه الفتى
يوجب مسح الدمع من جفنه
وكيف لا يكي على نفسه
من ضحك الشيب على ذقنه

ويقول الفرزدق:

والشيب ينهض في الشباب كأنه
ليل يصبح بجانبه نهار

ويقول المتنبي :

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيئه
ولو أن ما في الوجه منه خراب
<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

لا شك أن المشيب هو إحدى علامات العجز الذي ينخر فينا قوى الشباب شيئا
فشيئا وأبرز مظاهر المشيب هو الشيب أي بياض شعر الرأس كقول المتنبي :

والمرء يأمل والحياة شهية
والشيب أوفر والشيبية أنزق
ولقد بكيت على الشباب ولنتي
مسودة ولما وجهي رونق

وقال أيضا :

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس
س إلا من فضل شيب الفؤاد

ولقد تغنى بلبل العراق ناظم الغزالي بقول الشاعر :

عيرتني بالشيب وهو وقار

ليتها عيرتني بما هو عار

إن تكن شابت النواذب مني

فالليالي تزينها الأقمار

ويتميز المشيب عادة ببلوغ الإنسان مرحلة من النضج والحكمة والوقار وكانت

العرب عادة ما تعين زعيما لها من الشيوخ لذلك السبب قال الصنوبري:

كان عيشي بهم أنيقا

وزماني فيهم غلاما فشاخا

وللناطقة الديباني قول آخر :

وكفكفت مني عمرة فرددتها إلى

النحر منها مستهل ودامع

علي حين عانت المشيب على الصبا

وقلت ألما والشيب وازع

أما الحسناء فإنها لم تعد تعاتب الشيب الذي كساها وقد سبق الزمان أن أذاقها ما

يشيب له رأس الغلام فقالت :

تقول نساء الحي شبت من غير كبرة

وأيسر مما قد لقيت شيب



بيت القصيد

أسعد أبو السعود

أيا شعر أنت ملائني وعوني

أنيسي وكوني وبيت

القصيد

فمنك تراء لعيني الجمال

وألهم شعوري بحر

فريد

<http://Archivebeta.blogspot.com>

وفيك تجلّي نضال الشعوب

تبر الظلام معز مر حديد

وأنت الذي يعضد الزمان

وبرمي المنايا بسهم الخلود

ومرغم عتائي وطول أني

فإني أحاولي شعر جديد

أيا شعر أنت ملكك الفؤاد

وصرت رفيقا لعن مديد

وألهبت حسني فبت الليالي

أناجي خيال، خيال القصيد

كان لي

المهادي العثماني

كَانَ لِي فِي مَا مَضَى وَطَنُ
تَوْشِيحِهِ الْمَعْمُوسِ بِالشَّدَى وَالْإِخْضَارِ
كَانَ لِي بُسْتَانُ زَيْنُونٍ وَكَرْمِ
حَافِلٍ بِالْحَصْبِ، تَكْسُوهُ النَّمَارُ
كَانَ لِي بَصْرٌ وَمِثْلُهُ جَمِيلُ

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhi.net>

كَانَ عِنْدِي

فِي مَسَامَاتِ الرَّبْعِ الْحُلُونَايُ
يَعْرِفُ لَحْنَ الْهَوَى لِلْعَاشِقِينَ
كَانَ لِي مَا كَانَ فِي صِغَرِي
حِصَانُ الْعَشْقِ بِأَسَدَتِي -
عَيْنَاكَ أَغْنِيَتِ السَّنِينَ
وَبَدَاكَ عُصْفُورَانِ

بِرَّكَ بَانَ نَصْفَ خَطِيئَتِي

عِنْدَ الْجُنُونِ

كَمْ كُنْتُ يَا سَيِّدَتِي الْحَسَنَاءُ

مَرْكَبَ مَرَحَلَتِي، وَسَطَ الْبَحَارِ

كُنْتُ أَغْنِيَتَهُ الْمَوَاسِمِ يَا حَبِيبَتِي

حِينَ يَتَمَوُّ الْجُلَنَاءُ

قَدْ كَانَ يَا مَا كَانَ...

قِمَاتُ الْمَحَبَّةِ، قَدْ فَجَّأَتْهُ سَوِيًّا

مِنْ قَوَائِدِ الْحَيْنِ

كُنْتُ أَمْضِي، فَوْقَ شَطْرِ الْبَحْرِ لَيْلًا

عِنْدَ مَا يَنْكِي الْعَارُ

كَانَ لِي لَحْنُ الْمَوَادِدِ وَحُلْمُ الْيَاسَمِينِ

كَانَ لِي خَضَرُ الْمَوَاعِيدِ وَشَوْقُ الْعَاشِقِينَ

كَانَ لِي فِي مَا مَضَى حُمَاءُ الصَّغَارِ...

كَانَ لِي وَطَنُ بُرُشْخَةِ الشَّدَى وَالْإِخْضَارِ

الهوى والحصان

شعر: حسن دولة

تصدير : لماذا تركت الحصان وحيدا...

محمود درويش

لماذا حبيبي تركت الحصانا

غريبا وحيدا يقاسي الهوانا

وأمنت بالموت دون الورى

ودنست بالخوف هذا الزمانا

والقيت بالوجد بين النياقي

والبسته الذل ثوبا مهانا

لماذا حبيبي خدعت الفؤاد

وفضلت عنه الأسى والخيانة

وضيقت تأريخنا... كله

وأثقلت حبا وقد بات كانا

وقد صار ذكرى من الذكريات

وأضحوكة قد نس سوانا

لماذا حبيبي أطحت بتلي

وخالفت عهدا مضى واستكنا

أجني حبي أجني لماذا
لم اليوم دست وخت الأمانه
وفضلت عنها مركوب الأمانه
وحب الذي بالوفاء أسهانا
ومزقت حبي وأدميت روجي
وقلبي الذي قد أتاك الحنا
ألا قلت لي الآن يا قاتلي
تري كيف لي أن أعيد الحصان
فيغدا جفوجا بأحلامه
فيسى السناء ويسى المهانه
ويملأ القلب نقرا جميلا
ويؤتي الصهيل هذا المكا
ويجفوه حزن طويل المدى
فتحيا جميعا بصدق هوانا
ونسى ثاما حياة المآسي
ويالحب فدي هذا الحصان

حش... رجة

شعر مختار المومني

[إلى أبطال الفلوجة، وإلى كلّ رجال المقاومة في عراق البطولة.

معنيّ أنا بما يفعله السّاسة في المستقبل الآن.]

(ضاع الحلم)

بغداد لوحه سرديّته

تصحو على جرح

وعلى لغمّ قنّام

وفي هامش اللحظه الخاسره

تبني الحتافيش وكراها

يزهو الموت

ولا يبقّى في العنّ مشع للفرح

أمامي

وخلفي

عند حقول اليأس

معني أنا بما يفعل الساسة في المستقع الآن

يكبر الجرح

ومن شرفة القلب

تعوي الرنج

تنمو البثور

تطرح قيحا، وصديد

قلت: "الخبر لو يأخذني الموت".

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakifrit.com>

معني أنا بما قد كنت أعني

طفلي يسألني اليوم

سما قد كان.. كان

فلماذا أنت حزين؟!

قلت: "ما أبشع أن تحيا بلا حلم

يا ولدي"!

لي بلاد هي أحلى

شعر: النوري قم

أيتها الحائرُ مهلك

ليس في البيت سوى أهلي

ليس فيه غير عتلي

جاء طيف فمك

تعبت أحلام من

نومنا لما تجلّ

قال: يا أئمة أيقنوا

صار هذا الكون أجمل

صار كالردوس أحلى

يا بني حواء مهلا

شجر النوت هو مثل غيوم

المحن

حينما أتبع ورد الزمن

في صباحات البلاد

أَها الْعَابِرُ مَهْلَكُ
كَانَ فِي الْكَهْفِ نُورُ
يَنْتَلِي

كَعْنَقِيدِ الدُّعَايِ

فِي خِيَالِي

كَانَ كَالْأَقْمَارِ عَجْرِي

فِي دِيَاغِيرِ الْيَالِي

فَنَوَلِي

ARCHIVE
فُجَاءَةً يَتَرَأُّ فَنَجَانِ الْغُيُوبِ

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يَنْسَلِي

وَيُسَلِّي رُوحَنَا الضَّائِعَةَ

بَعَاوِيذِ الذُّنُوبِ

أَها السَّائِرُ مَهْلَكُ

لَا تَسْلُ أَيْنَ قَنَادِيلِ الْغُرُوبِ

أَيْنَ أَبْوَابِ النَّسَايِخِ

قَتَحِ الْآنَ الدُّرُوبِ

لَا قَتْلَ لَكَ وَحْدَكَ

لك كل القبل

لك عشق المقلد

لا تقتل إن العباد

هي وجدك

إنما نحن نسير

في ثوابات القدس

ليس فينا من يغامر

من شدائد

كالخزاعي

كالرياحين

كالمحار

أنها الطائر مهلك

حط كالإلهام في أعماق قلبي

إنني ما غت بالأسرار قبلك

ما غنيت ضلالي

ما حملت معاناة الليالي



مثل أهذاب اللآلى

فى ختالى

إنى ما عت: أهواك لأجلك

إنما أعشق قبلك

لى بلادى

هى أعلى

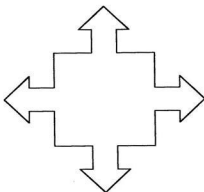
هى أحدى من ترانىم الخلود

لى بلاد

أقسمت أن لا تعادى

<http://Archivebeta.com>

غیر أنواع الجود



قفص

شعر: مشعل البياتي

مهدني لولالي بالذبول

أنا الذي

أدعز الجمال والأكمر

أسرق الأيام بالمباحج

لأجل أن أؤخر التماس

عن رحيلي

... حاميته أخرى!

ARCHIVE

<http://Archivebeta.sakhril.com>

قبعث باطمئنان سلتني

فهرني أشياءها الإليفة

فهر قلبي الذي

لما يرل معلنا... مثل قفص

وأنت وحدك

من أطلقت أطيابة

قصيدة..

قصيدة

نبوة تروبادور

ماروك عيسى

*نبوة أولى:

أراك تعصر خمرة الروح

وأرى الطير من حولي

ومستدخل سجن الأمانى

فهل تشبى عن أشجاني؟

*أغنية:

فألكمة الأحاجي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لمرين قطافها

وفسوة في الحبي

يزاورن حين بلوح بلسر حزين

بلكن خطايا السنين

ودعالي الحنين

شدت أقالها سكاكن الشهوة

وما غير المراسر المربخاة

قدح الكون قفاحة

وتلبس سرديق النفس

جبة الانصاع

*نبوءة قاذبة:

عرافة القهر قالت:

سيباً لولك عن الراح

ومن أيقظك الممهج

وقبل أن ترضك الصلوات

ستلبس ثوب الحلالاد

ARCHIVE

*أعنتني في غيابات الحرف

اختصرت أقداري

<http://Archivebeta>

ورؤيتي التي تعبرني

فاضت معانيها

لما كهنته الحي

سهبوا أحلامي

ورفت إليك

أطيا في حبلتي

حين رأيت في المنام

أنني أغرس خلتة.

حيثيات

شعر: هدى العقرباوي

وحيث مرمت قلبي بسهمٍ

أتى به حتى تراه انسطر

وصار جرحي غير الدواء.

وحيت سقيمةً بداءٍ خطيرٍ

فحيناً تراني سعيدةً حيرةً

أجول وأضحك كالمنتصر

وحيناً تراني كئيباً مكلولاً

دمعي هنونٌ وصلدي ضجيرٌ

وصرت أراك بعيني أميراً.

تلاحق سرب النوارس فجراً

وعند المساء تغزو القمر

وحيث تنص جميع الظرف

بأنني أريد جدلاً

وجدنا غنيناك فما تنتظر

أجيني جنابك



حياتي اختصر:

ARCHIVE

<http://Archivebe.com>

تراك قرأ بعيني هيامي

أمر أن قلبك لغيري استقر

وإن كان ذاك فلا بأس

إنني لكم أعند

وحيث بناء على كل ذاك

لكم يا حبيبي سديد النظر

الجحيمان

بقلم : عدنان المبارك

- أنا روح النكران الأبدي. مفيستوفيليس (فاوست، الجزء الأول، المشغل)

- نعمان ؟ آني نائر صديقك اللودا
وأخيرا دأسمع صوتك!. تلفونك
ساكت على طول ... أها، عطل
شوية طول. أنا مسرور لكونك
بخير... ماذا؟ لم يتوقف ذلك اللهاث؟
لو كانت الحياة طبيعية لنصحتك
بالجلوس في أحد مقاهي شارع الرشيد
وتدخين نارجيلة!. هاهاها، مكالمتك
من قبل أسابيع أثارت في أكثر من
سؤال عما تمر به الآن... ماذا ؟
توقفت عن الكتابة منذ أكثر من
أسبوع ؟ ولماذا؟ هل تبخرت تلك
الثقة بالنفس ؟! . هذا الجحيم
الخارجي التحق بالآخر الداخلي؟ ...
صحيح، لسا. كتابا صحفيين الآن.
الغريب أنني فكرت بهذا الشيء مساء
أمس، وهذه الصورة : هذا العالم
الخارجي حصرنا في الركن. فنحن لا

نجرؤ الآن على النظر إلى الداخل ولا
إلى قضايا الإنسان الحقيقية ولا إلى
بعض الأشياء الجميلة هنا وهناك.. في
الخارج . تتلاطم في الرأس مواضيعنا
التي صارت تسمى اليوم إنسلاخات
بطرائين. يخيّل لي أنهم وضعوا على
عيونهم نظارات مصغرة تحوّل العالم
إلى إشارات إخبارية!... كلا، أنا لا
أتوقع حدوث معجزة: أن أصبح نعاما
تدفن رأسها الطوري في مثل. هذه
الرمال الملتهية!. لكن قل لي ألا تزال
تدوّن أفعال هائك في ذلك السحل،
وكيف يبدو الحصاد هنا ؟ . كتابات
شيزوفرينية، فيليب ذكية أو
سترندبرغية؟!... طيب لتكون هكذا،
فالعالم لا يشكو من قلة الكتاب
(المستقيمين) و(المتبولكين دما) من
شدة الحرص على مصائنا!. سألتني في

بلاكتشاف إنسان الكهوف للسحر ثم الدين وينتهي بصور من عالمنا اليوم المؤمن حتى النخاع بطواطم العلم من ألكترونية وغيرها. حتى العنوان هذا يكشف عن فنيشية معاصرة : (العلم يحل محل السحر). قلت لكاترين التي تخفي، بمهارة ناس الشمال، الآلام والأحزان والمخاوف:

- آن الأوان أن يلحق السحر القدم بلامعقولة حياتنا الحاضرة.

- هذا الألبوم - أشارت بشيء من الإحتقار إلى الكتاب الملقى على المقعد - يقول: شينا آخر: العلم سيقضي على كل أنواع (البربرية) ومعها السحر والروحانيات والأديان وكل ما لم يخرج من مختبراته. هؤلاء العقلانيون، أحفاد ديكرتانا المضحرون!.

نعم يا عزيزي. إنسان المختبرات سيّد الأرض الجديد سيحرق طواطم جزيرة عيد الفصح وينفي حضور الموتى في حياتنا ويحرم الرقصات والأقنعة. سيفتح معسكر عمل

مكالتنا الأخيرة هل أعرف من هو خوزيه سيلفا. لم تنتظر الجواب. أصابني القلق عليك. وجدتك حينها في أقصى الإنفعال، كذلك أخافني هذا اللهات. في الحقيقة لم أكن أعرف شيئا عن سيلفا هذا الساحر من العصر الألكتروني!. سألت عمّي منذر الذي جاءنا قبل أيام. هو معجب بسيلفا. هذا معناه أن العلم الأرثوذكسي

يتراجع، ولكن ليس دائما بل من حين إلى آخر، أمام الباراسايكولوجي والمستور والغيبيات وكامل الحكمة القديمة!. أنت تعرف جارتنا الفرنسية كاترين... نعم، بقيت هي وزوجها المهنتس لوي في بغداد. إن كلّ الصواعق التي نزلت وتزل على المدينة لم تطرد إبتسامة هذه المرأة. هكذا هم الأورويون. يخلقون معادلات للحياة

غريبة علينا. زرعهم قبل يومين. ضحكت هي عندما رأيت ألبوم موريس بيسي (في عالم الظلال) ملقى على المقعد بجوارها... أنت لا تعرف هذا الألبوم ؟. إنه قدم. يبدأ

مربعاته ب 720 من المثلثات المنقوشة في صفوف منتظمة عدا مثلث واحد كان قد (خرج عن السرب). مهمته ان يصدّ أذى العين الشريرة. كل هذا يوميء إلى تلك الحرب المستمرة بين العقل وكيانات الإنسان الأخرى... ماذا قال العم لوي عن سيلفا؟ قال إنه عندما قام سيلفا بتجاربه في عام 1944 على تنشيط العقل ظن الناس بأن الرجل قد جنّ ؟ ... صحيح . بعدها ب 22 سنة إعترف العلم بأنه جنونا وأن كل ما فعله سيلفا هو أنه استغل القوة الكامنة في موجات الدماغ الأربع : بيتا، ألفا، تيتا، ديلتا التي تناسب المستويات الأساسية لنشاط الدماغ... أنت تربط لهاثك بذبذبات ما ؟ . قد يكون اللهاث من أعراض هذه الذبذبات... أنا لا أفهمك بالضبط. طيب إسمح لي أن أتكلم عن طريقة سيلفا كما سمعتها من العم ولنقارن كلامك بكلامه. العم يقول إن أساس طريقة سيلفا هو فعل مقصود على ما يسمى بمستوى

للشامانات، أولئك الوسطاء الأمينين بين الناس والعالم الآخر، عالم الآلهة والشياطين وأرواح الأسلاف. وجدت في الألبوم رسما غريبا عثر عليه عالم سوفيتي . الرسمي هو بمثابة جغرافيا روحية (هكذا كتب مؤلف الألبوم) . شامان الرسم أراد الإتحاد بالشمس أو ان تكون هي هو وهو هي. إنما حالة التطابق. (بسيكولوجيا الأعماق) تعتبر الشمس رمزا للأب أو الوعي. قلت لكاترين إنه لم تبق أطباق نجاة كثيرة لهذا الإنسان المسكين. بالطبع إستثيت طوق الدين. فهو قد أصبح شرسا اليوم ويبالغ في التسلح أو أنه يبارك، علنا أو سرا، من تسليح من المؤمنين. وهنا عدّدت بعضها. لم يبق أمام هذا الإنسان غير الرجوع إلى (السحر الأسود) أو مواصلة ممارسته هنا وهناك على الأرض. ولكم تبدو غير خطيرة أسلحة هذا السحرا. فليس هناك غير التميعة والطلسم وإحداث اضطراب صغير في زعراف ما. أرثني كاترين صورة سحّاد فارسي ملكت

أربع). وطريقة سيلفا تجعل من ذلك
 المر الضيق صالونا كبيرا !. في
 الصالون تنهمر الأفكار المبتكرة وفي
 كل لحظة يكاد المرء يصرخ مثل
 أرهميس: (وجدتها)!... إذن كلام
 العم يتفق مع ما تعرفه عن سيلفا...
 تقول إن قصصك الأخيرة تركيب
 (غريب عجيب) لحكايات العجائز
 و(أساطين) العلم؟ أنت تعود هنا إلى
 عقيدتك القديمة المسماة خورخه لويس
 بورخيس! تذكرت ترجمتك لقصته
 القصيرة (وردة باركيلسوس)، إنها
 قصة شفاف ولا يهم إذا كنت قد
 ترجمتها عن الإنجليزية... ماذا تقول؟
 عدت في إحدى قصصك إلى
 باركيلسوس؟ أنا أتفق معك بأن هذا
 الرجل ينتمي إلى من يسمون بملح
 الأرض. إذا لم نخفي الذاكرة كان هو
 من دعاة تكريس الكيمياء لعلاج
 الإنسان فقط. أعجبك فيه ذلك الربط
 للسحر بالكيمياء؟... كان فاوستا
 آخر من سلالة الخيميائيين. صحيح ما
 تقوله، كان عدوا لدودا لمرجعيات

الذهنيات السائدة لموجات ألفا أي من
 سبعة إلى أربع عشرة دون في الثانية.
 على هذا المستوى نحصل على تنسيق
 أفضل من الإعتيادي لعمل النصف
 الأيسر لكرة الدماغ والآخر الأيمن
 أيضا. بفضل ذلك تأتينا أفكار خلاقة،
 كذلك لمخضم المعرفة بصورة أحسن،
 وتقوِي المخيلة تفكيرنا وبملك الخلد
 حينها صفات أسماها سيلفا بالعقريّة.
 تبين أن الإنسان يدخل هذا المستوى
 مرتين في اليوم على الأقل: عندما ينام
 وعند الإستيقاظ. حينها تسود الدماغ
 تلك الذبذبات. المشكلة هنا أن هذه
 الحالة تستمر لفترة بالغة القصر. تنشأ
 وتزول بسرعة. ندخل عبرها دهليزا
 ضيقا يربط اليقظة بالنوم. فنحن عندما
 نستيقظ تماما ونفتح أعيننا يدخل
 الدماغ بصورة آلية فيما يسمى
 مستوى ألفا أي في دوامة ذبذبات
 أسرع (من 12 إلى 14 دورة في
 الثانية). وعندما يكون نومنا عميقا
 يث الدماغ موجات بيتا (من ثلاث
 إلى سبع في الثانية) وديلتا (أقل من

تعثر هي في يوم ما على راع؟. أنا أشك يا عزيزي في هذا الأمر. بالأحرى لسنا شياه ضائعة بل محاصرة في حظيرة مظلمة. في إنجيل يوحنا هناك تصوّر لقطيع بكامله من اليهود والوثنيين لم تضع فيه ولا شاة واحدة... قد تكون محقا. فما قاله متى هو الأكثر موثقة لحالتنا نحن الإثنين: حين يأتي يوم الحساب ويجلس المسيح و (يُجمع كل الشعوب أمامه ويفصل الواحد عن الآخر كما يفصل الراعي النعاج عن الماعز. ويضع النعاج على يمينه والماعز على يساره...) بالطبع هذا فصل للأشجار عن الأشرار. ونحن قد نكون من أشرار هذا العالم ولأننا لا نفكر بخبره وأفعاله اليومية. قد تتفق معي بأن ما فعله بطل رابليه كان الأكثر حكمة... أنت تسأل: أيّ بطل؟. في فصل (خراف بانرج) من (غار غانتوا وبانتاغريل) يشترى مسيو بانرج في السفينة من تاجر للمواشي خروفا- قائدا للقطيع ويرمي في البحر. القطيع يتبع قائده ويرمي نفسه

طبيّة كبيرة أمثال هيبوقراطس وغالين وابن سينا، إذ أراد أن يخرج الطب من القرون الوسطى. أنا نسيت الكثير من أقواله. هي الآن تحت يدك؟. يالها من مصادفة!. استخدمت بعضها كدياجات لثلاث من قصصك؟ جيّدًا. فهو يستحق الذكر والتذكير، خاصة لقارئنا الذي أدخلوه، ويدخل طوعا في بعض الأحيان، قفص الماضي التليدا. ماذا قال؟. (الحب أجمع دواء). هذا خير نصيحة معنونة إليك!. أكيد أن الحب ليس سبب هلاكك!. بل هو آخر نحن يا عزيزي مثل الشياه التي أضاعت قطيعها. تبدو كأننا بانتظار الراعي الذي يعدنا القديس بطرس بقدمه... أنت لا تشعر بأنك ضائع؟. قد تكون الحال بهذه الصورة: نحن شياه ضائعة في قطيع الكتاب العراقيين والعرب والشرق الأوسطين والأفارقة والآسيويين والشرق أوروبيين والأمريكيين اللاتينيين. ففي كل مكان هناك تطالبك الحياة بأن تكون مراقبا يقظا وإلا فأنت شاة ضائعة.. تقول قد

وضحك على نظرية إفلاطون وعالم أفكاره. بالطبع ألفت حول الحقيقة بصورة أخرى وأراد إختراقها على طريقته الخاصة: ليس هناك من وجود غير وجود الأشياء الملوسة، أما الباقي فهو محض كلام في كلام وليس هو الواقع. هل تعرف كيف خاطب أفلاطون: "يا أفلاطون! أنا أرى على الدوام حصانا ولا أرى (الحصانية) أبداً". وهكذا أنت محق حين تقول بأنك تسمع اللغات ولا تشعر على (اللهاية)!. أشعر أحيانا بأن رأسي ستفجره هذه المعرفة التي تفتح عيني على عوالم وأكوان ليست من هذه.. الأرض. المدينة والبلد هما ذلك الملموس الأنستيتينيسي. لكن قل لي ما علينا أن نفعله ككتاب؟ أن نكتب قصصا عن أقرب شارع وإنسان؟. أن نهر تواقيعنا على هذا النداء وذاك، أن نضغط وعينا في قوالب الحاضر؟. إخباري يا نعمان كيف التخلص من هذا الزمكان؟ وكيف التكرس لكبريات القضايا؟. هذه القضايا هي

في البحر أيضا. والتاجر الذي أراد أن يحول دون وقوع هذه الخسارة دفعه القطيع إلى البحر أيضا. وهكذا أنقذ المسيو بأنرج حريته!. لكن نحن هنا بلا حول ولا قوة: نحن بعيدون عن البحر، وعلى ضفتي دجلة هم كثيرون من يريدون إنقاذ الخروف القائد والقطيع والتاجر!. لقد سرت عدواك في وأصبحت كليبيا أيضا!... تقول إن كليبتي كانت كامنة؟ قد تكون محقا فهناك شيء يفرض في داخلي على الدوام. هل تعرف أن أستاذنا أي عميد الكلبين أنتيستينيس الأثيني كان يشبه، بنية وطلعة، معلمه سقراط. وكان عدوه اللدود التلميذ الآخر لسقراط، أي أفلاطون. كان هذا وسيما وأرستقراطيا. أكيد أن جزءا لا يستهان به من هذه الكراهية يعود إلى الفارق المخجل بين الدمامة والوسامة وبين الفقر والغني وبين الدماء الحمراء والزرقاء. ولهذا الأسباب وغيرها تعارك الإنسان على تركة سقراط. أنتيستينيس كره المنطق والديالكتيك

أن نرفع أصوات العتب والنقد بعد أن
أعطانا أبناء هيلاده هؤلاء كل هذه
الموائد العامرة... أنت لصقت بي مرة
لحمة السعادة. لا أعرف أين عثرت
على الدليل. وكيف خدعتك حاستك
الشمية. الشروخ في مباني مخفية
جيدا. ولكل طريقتة في إخفائها.
عزيزنا فولكنر غطاها بزجاجة
الويسكي... أنت لا تشرب كثيرا؟
ولماذا؟ تخشى أن يصفق الصبيان
وراءك ويهتفون: (سكران بالك عنه،
فلوس العرق هو منه)؟! هناك قول
لأحد رايات اليهود أراد له أن يظهر
مساويء الخمر. أكيد أنه شرب
وشرب في شتى مراحل العمر. قال
بأن الشيطان قد دفن تحت جنور أول
كرمة كان قد غرسها نوح، أسدا
وحملا وخنزيرا، ولذلك ينهل الإنسان
من الخمرة، الوحشية والرقّة والميل إلى
التمرغ في الوحل... لا تظنّ بأنني مع
هذا الرايين. فأنت حين تشرب تطرد
الحمل والخنزير فقط!
هاهاها... لالالا، أنا صائم عن

عندي مثل تلك ال(أيكولاليا) في
الطب النفساني: التكرار الآلي الإلرادي
للأصوات والكلمات التي نسمعها.
كما تعرف هناك قس من الدرجة
الثالثة في الكاثوليكية إختصاصه طرد
الشیطان من الإنسان أو الأشياء. أنا
أشكّ بقدرة أيّ أحد على طرد
شياطيننا التي بنت قلاعاً حصينة في
دواخلنا. سألتك قبلها إذا كنت
تشرب كثيرا. كان سؤالاً سخيفاً
بالطبع. فقد نسيت أن أحد أعزائنا،
نوفاليس، قال عن سينوزا بأن
الإنسان الثمل هو رب. ولكن هل
يحمل الرب؟ على أكثر إحتمال يكون
الحلم إمتيازاً بشرياً صرف. فالأرباب
لا يملكون الاوعي ويدون هذا لا
أحلام نوم هناك. هم قد يعرفون
حالات أخرى مثل الوله والهام لكنها
جميعاً لا تبعدهم عن الواقع الزمكاني
فهم يعودون سريعا إلى حيروت
العقل. لا أعرف لماذا لم يكتب
اليونانيون قصصاً واقعية. لكن لا أحد
يعتب عليهم ولاّنه لا يصحّ ولا يليق

الشرب منذ أن أشعلوا هذه الحرب. أردت بذلك أن أحتر النفس. والأعصاب بالطبع. كما يبدو فقد اجتزت الإمتحان بنجاح. لكن هل سأجتاز الإمتحان الآخر يا ترى؟... أنت تسأل: أي إمتحان؟ إمتحان الحقيقة يا عزيزي. غريمتنا الأزلية هذه.. نعم غريمتنا، فواحدنا يبحث عن السكينة في الرأس، وهامي لا تكف عن طرده بتلك اليد القاسية. لكن قل لي يا نعمان: هل هناك حقيقة واحدة لا غيرها؟. وفق إنجيل يوحنا قال المسيح: (أي واحد هو من الحقيقة يسمع صوتي). بالطبع لم يقنع حينها بيلاطس الذي سأله عن كنه الحقيقة. وقبله لاحظ هيراكليت أن الإدراك بالحواس لا يعدو كونه الدرجة الأولى من المعرفة قال هنا: (العيون والآذان هي شهود سيئون للناس الذين يملكون روح البرابرة). وبارمسنيدس أعلن أنه إذا لم تتعرض الفكرة إلى الخطأ فهي لا تختلف في المضمون عما هو موجود فعلا. السفسطائيون أعلنوا بدورهم أن ليس هناك حقيقة عامة وأن الحقيقة هي أخرى لكل واحد، والحقيقة الأحسن هي التي يتبين أنها أكثر عملية من غيرها. أما عزيزنا سقراط فلم يعد تلاميذه بتعليمهم الحقيقة ولكنه سيبحث سوية معهم عنها. لكن تلميذة (العاق) أفلاطون كان موقنا بأن التعرف عقيم إذا لم يشمل الأفكار فإدراك الحواس لا يصلح هنا، ولذلك تكون مهمة الفلسفة، جزئيا، هي التعرف على الحقيقة، والأهم هو (صلة القرابة بين النفس وما هو أخلاقي وجميل). أنا أتذكر جيدا كلماته... نعم أظلت عليك الكلام عن غريمتنا، فانا (أعيد وأصقل) حسب! قبل يومين جمعت باقة زاهية من الأقوال عن الغريمة. أآ نسيت أن أخبرك بأنني في إجازة إجبارية أيضا... نعم منذ أسبوع. إحدى سياراتهم المفخخة التي لم تحبط من إحدى السماوات السبع إقتحمت مبنى محكمتنا وفحّرت كل شيء. تلك السماوات رعتنا. لم يقتل هناك سوى

مقتس بالطبع، مع تبحر الداحل والخارج. طر عليهم جميعا! خشيتي الوحيدة هنا على فارسنا الذي قد يلوثون سمعته! ها قد خرجت كليتي من مكنها الذي قمت أنت باكتشافه! عزيزنا ميغيل دي أونامونو كتب في عام 1905 مقالة الفلسفي الشهير (حياة دون كيخوته وسانشو). وهو الوحيد الذي فهم فارسنا. وحده قد فارق المنطق لصالح المشاعر، أما جنونه المزعوم فلم يكن إلا سعيًا إلى الخلود في .. ذاكرة الخلف. هل تعرف يا نعمان بأن كل كاتب نزيه لابد أن يخرج من معطف دون كيخوته. لا أعرف إن كنت تتفق معي بأن لا رابط هناك بين الزاهة والمنطق... تقول أنا أبالغ؟ أبدا. كل شيء راجع على واقعين: درجة مناعة الجسم الذي دخلته الجرثومة الدون كيخوته، وفاعلية الجرثومة نفسها. البارحة أردت أن احرب مناعي حين قررت الخروج من البيت. في شارعنا تعرض الجنود الأمريكيان مرتين للقتل. وليس

خمسة حراس وعابرين من مساكننا الآخرين... لا أعرف يا عزيزي، أظنهم يريدونها حرب إبادة... من هم؟ الأطراف جميعا. هذه هي الحقيقة ولكن هذه لم أنتزعها من تلك الباقية التي ذكرتها قبل سؤالك. هناك قول لاتيني معروف: الطفل والأحمق (أو بالأحرى السكران) ينطقان بالحقيقة! أما مثلنا نيقول إذا نويت أن تطلق سهم الحقيقة فأغمسه أولا بالعسل. أتر كيف هم العرب ديبلوماسيون بالسليقة! الحقيقة.. الحقيقة.. لقد إلتهموها من زمان ونحن لا نفعل شيئا غير الندب و(شق الزيق)... صحيح ما تقوله، هم ألقوا بحقيقتنا العراقية في بحر عميق لا نرى في صفحة مائه غير وجوهنا بنظراتها الحائرة. لحقيقتنا تجارها ودون كيخوتاتها أيضا. المعذرة إذا اقحمت الفارس الإسباني بالفصول الحاضرة من مسخرتنا. كيخوتاتنا ينفضون عن أرديتهم من حين إلى آخر، عقائدهم ويعقدون حلفا، غير

الجديدة)... كلا، الفلم من عام 1967، ولكن تريفو بقي مخلصا هنا وهناك في الفلم لأفانيم تلك الموجة. فلم مور يكشف الأسباب التي جعلت الولايات المتحدة موضعا للكراهية وهدفا للهجمات الإرهابية. إلا أنه ركز على ما حدث بعد الحادي عشر من أيلول وكيف إستغلت حكومة بوش الأحداث المفجعة. الفلم يكشف العلاقات الحميمة بين عائلي بوش ولادن ا. فلمه الأوسكاري وثق السياسة الأمريكية المعادية لكل سلطة ديمقراطية في العالم. لقد وجدها إنعكاسا لثقافة العنف التي صارت معجونة بالجينات الأمريكية... صحيح ما تقوله، ها أنا قد عدت إلى جنوري الأنني يانكيسية! اللعنة عليهم جميعا! لولاهم لتكرست كتابتي لأمر أكثر نفعا من مثل هذا التصوير المضحر للحياة والناس. يتخيل إلي أن كتابنا صاروا يحملون بدل القلم كاميرا عتيقة تجوب الشوارع البائسة والسجون السابقة وإلى آخره...

الجنود وحدهم بل كان هناك العابرون. طفلة كاد ينفصل رأسها عن الجسد. خلال خمس وثلاثين سنة أسسوا أكثر من دولة واحدة داخل الدولة. سأضيف إلى باقة حقاقي حقيقة اليوم المدماة: قوة الغرور دحرت الغرور بالقوة... صحيح ما تقوله: نحن نرى قمة الجليد العائم حسب. ما زال هناك رجال شجعان في هذا العالم الفأري يسلكون مثل طفل حكاية أندرسن عن ذاك الملك الأحق العاري. أحدهم اسمه مايكل مور. هل سمعت به؟... أمريكي يصنع أفلاما حاز أحدها على الأوسكار. فلمه الأخير (فاهرينهايت 911)، العنوان يذكرنا برواية ري برادبري (فاهرينهايت 451) عن إحدى دول المستقبل التي تمنع الكتب وتقوم بحرقها... نعم، نعم الكل وقع تحت سحر هذه الرواية. كان جيّدا أيضا القلم الذي إعتد عليها. لابد أنه كان جيّدا. أخرجه عزيزنا فرانسوا تريفو، هذا المحارب القديم ل (الموجة

لك في هذا الصباح! أكيد أنك سمعت بما يسمى بالنداء الثالث إلى البشرية والذي أطلقته (جماعة المراقبين الإئتلافية) في السابع والعشرين من تشرين الثاني عام 1977... سمعت به فقط ؟ إذن المفاجأة هي ترجمتي له ومعها مقدمة لي قصيرة. طيب هل أنت مستعد للإستماع أم تفضل أن تقرأ الترجمة بنفسك ؟ ... فيفري فيفري ؟ طيب. في كل الأحوال سأعمل نسخة لك. كان ياماكان .. كان هناك عام 1929. على موجات طولها 75 مترا توقفت محطات الإذاعة عن البث. وفي الأثير إنطلق بيان غير إعتيادي. أحدهم أسمى نفسه (لا أحد) وقدم نفسه كمبعوث لحضارة غريبة. خلال ساعتين قرأ بعدة لغات بشرية مذكرة غامضة. أنا عثرت على هذه الواقعة في كتاب براد ستيجر (لقاءات مع غريب).

يتبع

نعمان! هل فكرت أحيانا بالإنعطاف صوب الأدب السياسي أي الإبتعاد عن مغامرات الخيال العلمي وذلك التأرجح على حافة اليقظة والحلم وضرب مواعيد مع مخلوقات من من درب بمرتنا 19. صحيح أنا أنعطف من حين إلى آخر إلا أنني أرجع دائما إلى لبوننا العاقل. قل ماذا سيحدث لو حصل إكتشاف خطير ولربما كارثي: هذا اللبون جيء به من كوكب آخر أو أن مدونات السومريين صحيحة أي أن اللبون ولد نتيجة تجربة معينة قامت بها مخلوقات كونية وصلت الأرض بحثا عن معادن كالذهب والفضة والبلاتين مدفونة عميقا في الارض وكان لابد من إستخراجها. وهكذا خلقوا بعد تجارب عديدة الإنسان كقوة عاملة. أظن أن هناك إشارات إلى هذا الأمر في الكتب المقدسة حين تشير على غضب الرب على آدم الذي سيكون عليه أن يحصل على قوته بالكدح وعرق الجبين.. والآن حان وقت المفاجأة التي أعدتها

حبّ علي وجه الخطأ

-2-

بقلم البشير التلمودي

وعادت إليه بقايا صور الماضي فإذا به معها جنباً إلى جنب في الطريق إلى دار خالتها سعاد... يتبعها كظلّها ويحرسها ويغار عليها من نظرات رواد الحي وتحرشها (علالة) الحلاق الذي كان يعتمد كلّما رآها تقترب من دكانه إلى الوقوف على العتبة متمسكاً ابتسامته الحبيثة... مازال يتذكّر ذلك اليوم الذي تبادلت فيه حبيبته مع علالة نظرات مسترة... وكيف إنّه غضب لذلك غضباً دفعه إلى ارجاعها خائبة إلى المنزل... حتّى أنّ (خالته) خديجة فهمت السبب وشجعت على خوفه وغمرته على (أخته) قائلة:

"يعيشو ولدي.. حزار على أختو.."

لكنّه مازال يتذكّر أيضاً كيف أنّ (عربية) دعت عليه وقالت: "ياسر عاد... كثّرنا السخطة!"

فعاد إليه ألمه وهمس في حزن... "أنا نحبها وهي تقلّيها السخطة!"

تذكر وهو جالس وحيداً على عتبة (كتاب) الحومة أجمل أيامه معها تلك الأيام التي كان يحسده عليها الصّادق والناجي ومحمد أولاد (خالته) مريم فهو الوحيد الذي كان يصاحب الفتيات إلى قاعات السينما لكنّه يبدو أنّ العديد من الأشياء ستتغيّر... وستذهب حبيبته مع خطيبتها مستقبلاً إليها لمشاهدة أفلام الحبّ بينما سيذهب هو مع حمادي لمشاهدة أفلام رعاة البقر... لأنّ زمن الحبّ مات!..

عندما لاحظ صديقه حمادي حزنه فهم بالقوّة تجربته الفاشلة مع عربيّة فعمل على مواساته واقناعه بأنّ للمرأة كما يقول أبوه دائماً لا تستحقّ من الرجل كلّ هذه العناية بل بالعكس

كلّما تجاهلها الرجل كلّما جرت وراءه كالكلب الجائع... تعرف (الدّار الكبيرة)؟
وأعجبت هذه العبارة الأخيرة وخفّفت من لوعته ونفخت فيه نفحات من أمل... سمعت عنها ولكنني لم أرها ولم أذهب إليها...
قال له صديقه حمادي: "تعرف باباً آش يقول ديمة..."
-!؟.....
-يقول: "ابك على البقرة... أمّا الثور حراث!"
ولم يعرف كيف انطلقت من صدره ضحكة انفراج... وأحسن لأوّل مرّة أن عشق النساء فعلاً...
مضيعة للوقت!
قال يسأل صديقه حمادي: "وأنت.. هل لك تجارب مع النساء... شدة حمادي على شفتيه ابتسامة خبيثة كأنه يسخر من سؤال صديقه الساذج وقال في لهجة المعتد.
-لي تجارب في عدد شعر رأسك... كائن عادي... يندم في النهاية...
وأحسن أنّه لم يفهم جيداً ما قصده صديقه فقال يسأله: كيف؟ فاكثفي حمادي بأن قال: (تبعني) وتوفهم كلّ شيء) وضحك كمن يريد أن يظهر براعته في اصطلياد النساء وحكته في الإطاحة بهن وإيقاعهنّ في شباكه...
أحسن بعد حواراه مع حمادي حول المرأة بأنّ أشياء عديدة اقتحمت رأسه وشوّشت عليه أفكاره... لم يعد يفهم

بوجهها الأسمر الرائع... وتذكر ما دار
بينهما آنذاك من كلمات
خجولة.. قال لها قبل أن يودعها:

"وقناش باش تعطيني تصويرتك؟"

إجابته في غنج ودلال: "غذوة"

وضحكت ولم يفهم آنذاك هل أنها

وافقت على طلبه أم أن ضحكتها دليل

على الرفض؟! لما عاد في ذلك المساء

إلى البيت... وقف أمام أمه وقال لها

دون مقدمات:

لماذا لم نعد نزور خالتي فطوم...

وتعجبت أمه من هذا السؤال المفاجئ

فقلت: <http://Archivebeta.Sakhi.com>

ما الذي ذكرك بهذا... على كل

حال فكرة.. لم لا... ربما ذهبنا

لزيارتهم مساء الأحد القادم...

وبات تلك الليلة في سعادة لا

توصف... يعدّ الساعات حتى تمرّ

الأيام بسرعة ويأتي يوم الأحد موعد

لقائه المرتقب مع من يحب...

مازال يذكر كيف أن زيارته لخالته

فطوم لم تكن حميمة كما كان

ينتظر... لقد كان الاستقبال باردا

جيدا لماذا لا يوجد الحب المتبادل بين

المرأة والرجل... فكلّ ما هناك حبّ

من طرف واحد... وهذا لا يشجع

على إقامة علاقة دائمة مع كائن

متقلب كالمراة؟!

رغم اقتناعه بهذا.. وجد نفسه مجبرا

لاقتحام مغامرة جديدة يثبت بها

للجميع وخاصة عربية إنه قادر على

استمالة قلب امرأة غيرها.. وربما أجل

منها:

فكر طويلا وتذكّر كلام صديقه

حمادي... وحوال بخياله في متاهات

العائلة الموسعة مستعرضا كل الفتيات

اللائي أحبهنّ من أوّل نظرة...

فتماثلت له صورة جلييلة ابنة خالته

فطوم القاطنة بضاحية منوبة.. فسرت

في جسمه فتشعريرة الشوق لمرآها...

لا شك أنها تغيّرت كثيرا... منذ أكثر

من سنة لم يلتق بها... كان آخر لقاء

معها في محطة باب سويقة عند عودتها

من المعهد... كانت رائعة بلباسها

الدرسي وشعرها الطويل ومحفظتها

الأنيقة... وابتسم كما لو كانت أمامه

خاصة من طرف العم صالح والد جلييلة وأخويها عبد السلام والمندرد... ولم يفهم آنذاك ما الذي دفع هذين الأخيرين إلى دعوته للذهاب معهما إلى المقهى...؟ في السابق كانا يخرجان لوحدهما ويتركانه يطالع أو يصور مع جلييلة... لكن يبدو أن الأمور تغيرت كثيرا منذ العام الماضي... فقد أصبحت جلييلة شبه امرأة بمسدها المكتر وصدرها النافر وشفتيها الشهيتين... ويبدو أن أخويها فهما الخطر من بحبه ومن نظراته فقررا إبعاد البنتين عن النار... فلم يحصل شيء في صدره إلا ألم الحية! ولم يعرف كيف قرر العزوف عن فتاة يعرفها عن قرب... يبدو أن لعشق النجوم البعيدة لذة لا يعرفها إلا العشاق.

.....

وأحسن وهو ينظر من خلال الواجهة البلورية لجنة العشاق أنه مازال تحت مخدر جمال الدمية الواقفة أمامه بابتسامتها الساحرة ووجهها المرمي... -كم أنت رائعة بشعرك الذهبي وفستانك الأزرق.

ومرة أخرى نظر إليها وممس كما ل كان يكملها حقيقة:

-عندما رأيتك أول مرة... كنت لا أعرف معنى للسراب أحبتك من أول نظرة... فنسيت ربيع عمري وتجاهلت الناس وكل أشياء الحياة.

عندما جئت بك من أول نظرة رأيت فيك كل مباحج الحياة.. تفاعلت: تفاعلت وتجاهلت الموت!

عندما التقينا لأول مرة عبر نقطة دفء وردية وتبادلنا في حبل بعض الكلمات تفتحت على دري إزهار الحياة صارت سماء الوجود أصفى وصارت الأشجار بظيورها أغنى... وصارت الأزهار بفراشها أحلى... وصار للأحزان طعم آخر! عندما تشابكت أصابعنا أول مرة... اكتشفت فيك وجهي الضائع... صارت أصابعي شعوا للعبير وعاد إلي توازي المفقود... ففرقت في دوامة الأحلام الوردية وتجاهلت الزمن الهارب وأحسست أن العالم صار بلا حدود.. وعشقت الحياة!

معلك... ومع مرور الأيام كنت أحلم...

قال ذلك وأخرج زفرة حارة من صدره
المكثود وأضاف في شبه حشرجة:
عجبا كيف يمكن أن ينقلب حلمنا
الساحر إلى كابوس مزعج؟
أخبريني... لماذا أنت صامتة يا مدعري؟

.....

- لا شك إذن يا صغيرتي : أن نهاية
بدايتنا باتت وشيكة... فاه لو تنطق
الأشياء القديمة بتاريخها حتى تنقذ الحب
الذي نغتنال...

قال ذلك... وأحسّ بعجز مطبق يسري
كياه... وأظلمت الدنيا في عينيه فلم يعد
يرى ما وراء صفحة زجاج
الواجهة... وتحوّلت الدمية التي كانت
أمامه إلى دخان... فافتار على العتبة!

.....

.....

وما زال سكّان (باب سوقية) إلى اليوم
يذكرون قصّة ذلك الرجل الغريب الذي
ما انفكّ على امتداد أربعين سنة يزور
يوميا (جّة العشاق) ويجاور من وراء
الزجاج دمية الكريستال التي أحبّها بكلّ
قواه واحترق من أجلها ولم يشعر يوما
أنّها مجرد صنم من جليد.

أتكلّم... أهذي... أتعزّى... وكنت
يا فاتنتي دمية سكرية... صامتة!
لم أكن أتصوّر ما نهاية الصمت... ولم
أكن أتصوّر ما نهاية الكلام
كلام مسموع... كلام مكتوب كلام
يجنون...

أرق في الليل... أحلام في الفجر...
سراب في الصباح... حزن في المساء
وأحيانا ألم!

والأيام... أيام رائعة حلوة... والأعوام
أعوام عذبة ساحرة... مرّت كما يمرّ
الحلم ليلة شاء دافئة!

في عمرة جنوبي بك... جنوبي الجارف
الذي حولني إلى نسيان... فقدت
ذاكرة الماضي... نسيت الفرق بين عمق

الصمت الخطير وقداصة البوح
العاشق... ولم أتصوّر يوما... أن الدمية
السكرية يمكن أن تزرع أشواكا... وأنّ
هذيان العاشق يمكن أن يتحترق حزنا.

في غمرة جنوبي بك يا معبودتي...
جنوبي المدمر الساحق... حكمت على
نفسي بالموت ولم أتصوّر أنّ الوردة

يمكن أن تأخذ في يوم ما... شكل
الخنجر!

مات الذين يعلمون

بقلم : نجيب البركاتي

كان يتبذ مكانا قصيًا في المقهى،
يدخن "النارجيلة" ويتأمل المارة في
صمت رهيب وكنت أعجب كثيرا
بلحيته البيضاء الكثة وبصدره العريض
ذي الشعيرات البيضاء، إن مظهره
الخارجي مدهش حقًا، شعر رأسه
الأسود كظلام الليل الحالك مع بياض
شعر لحيته وشعيرات صدره يضيئ
على تركيبته نوعا من الغرابة وكان
ينظر للناس كأنه ينظر لأحشائهم أو
للدّم في عروقهم، كان يتطلع
لأعماقهم كأنما يبحث عن شيء في
نظرة ثاقبة تأسر الرائي، أما حين
يتكلم فلشد ما تعجبي نبرات صوته،
كان كلامه عذبا حلّو الوقع يخيل لمن
يسمعه أنه يتكلم من عالم آخر غير
عالمنا فقد كان يقول كلاما غريبا يتنبأ
بالأشياء قبل وقوعها ينطق حكما
ويردد دائما "ليست الشعيرات البيضاء

دليلا على العمر الذي بلغه قلب
الإنسان".
أحيانا تكلمه فلا يرد عليك وأحيانا
يتكلم من تلقاء نفسه يقول كلاما
عجيفا يزجر كالرعد "مجانين، أوباش،
أنا أعرف الحقيقة، مات الذين
يعلمون"
كنت أراه أول النهار أو في آخره
أما وسط النهار فلا أظفر به البتة،
والذي كان يتحاشى الحديث عنه
دائما ينهري وأنا أعرج على سيرته، لا
أنسى ذلك اليوم الذي صفعني فيه وأنا
أتحدث عنه، لم أتألم للصفعة بل تألمت
لأن الحالة أم سعد كانت في بيتنا
آنذاك وقد رأيت نظرات التشفي في
عينها.

البعض يقول عنه إنه محارب قديم
تحصل على أوسمة عديدة عندما شارك
في الحرب والبعض يقول إنه لصّ أقاكَ

الإزدراء قائلا : "مسكين أنت آه لو تعلم" وعندما أسأله :
"ماذا سأعلم ؟" يقول: "مات الذين يعلمون" ويومئ بيده أن أغادر المكان يا صغيري.

أحيانا يعاملني بشفقة واضحة وحنان بالغ يربّت على كفتي ويقبلي بحرارة ويتحسّسني كما تتحسّس الأم الحنون فلذة كبدها وأحيانا يعاملني بازدراء وتهكم، كنت أغضب من احتقاره لي ومن تهكمه مني، ولكنني كنت أحبه في الأعماق أرسم له صورا في مخيلتي، عندما كان شابا لا شك كان قويا عريض المنكبين مثلما يظهر في صورته الحالية.

إنني أتمرّق شوقا لمعرفة سرّه. وجدته يوما قرب الولي الصالح "سيدي بوعرقوب" مع بشير الوصيف بعد مغرب الشمس، كان يتأمل في حبّ عميق وينظر إلى السماء من حين إلى آخر، شعر بوجودي ولكنه تجاهلني أو ربما كلّمني ولم يتحمل مشقة النظر إلي فقط قال كلاما غريبا

قاطع طريق، كنت أسعى للتقرّب منه وقد سأله يوما في لحظات هدوئه من أي البلاد أنت يا عمّاه ؟ فردّ في لحظة قاطعة: "كل بلاد الدنيا موطني، أنا من بلاد الله الواسعة" ثم حدّثني بنظرة قاسية وقال : "ما شأنك يا صغيري تروم معرفة ما لا يعنيك" ثم طأطأ رأسه كالباحث عن شيء ذي قيمة ضاع منه. بقي كذلك برهة خلته لن يتكلّم بعدها فقلت له : "أمرك عجيب الكل في البلدة يجهل موطنك ويجهل أصلك".

قال ونبرات الأسى تتخلل كلامه :
"مات الذين يعلمون ومات الذين يعرفون حتى الذين يفقهون ما أظنهم يتكلّمون" تكلم دون أن ينظر لي، كان يثبّت نظره على شيء أجهله في الشارع، كنت أراه دائما يثبّت في نوال عندما تمر في الشارع يتأملها بجميل نظره حيشما تذهب، وكنت وأنا ألهه أردّد : "تبا لهذا الشيخ المتصابي غريب الأطوار" عندما كان يلّمحني أحصى حركاته وسكناته يرمقني بنظرة

الذين ينظرون أمام أنوفهم"، وكانت المرة الوحيدة التي أسمعها فيها يتكلم عن والدي وعن أم السعد والدّة نوال حتى نوال ذكرها، قال: "مسكينة هي آه لو تعلم".

للمرة الألف أسأل والدي عنه، قلت له إنه يعرفك ويعرف أم السعد والدّة نوال ويعرف نوال كذلك، لم يغضب والدي من أسئلتني فقد تعود عليها، ولكنه زجر كالرعد قائلا: "ماله ونوال أما كفاه أمها ألا سحقا لهذا الشيخ العنيد".

كلام والدي أربكني، غضبه ضاعف حيرتي، كل ذلك جعلني انقب في تاريخ الشيخ فلا أضفر بشيء عدا السراب.

كلامه يستعصي على الفهم، تصرفاته، نظراته الغريبة إلى نوال، حنّوه البالغ على، أحيانا يحسبني جزءا منه وأحيانا يسخر منّي ويتعمد الإساءة لي.

هكذا كان عامر يقص عليّ قصته مع الشيخ ميلاد ثم يقول: "حقا مات

: "كم تبلغ المسافة بين قعر الحبّ وسطح الأرض؟". خفت من هذيانه لكنه التفت لي قائلا: "مات الذين يعلمون" وأردف:

"أنا يا صغيري أنظر إلى الأعماق والأعالي". كان كمن يحدث شخصا في قاع الحبّ أو كمن يحدث مخلوقات غريبة وكان صوته كصدى غيب تردده ظلمات الحبّ من أزل الآزال، كنت أحتار في كلامه وأقول: "بالله عليك بدد حيرتي، كف عن غموضك هداك الله"، فكان يقول:

"أنا جواب آفاق أنا كشاف أعماق أنا سرّ البراري أنا امتداد الصحاري وأنت يا صغيري شعره في مفرقي** فكيف كيف عن السرّ تسألني؟"

فكنت إذا سمعته يقول هذا الكلام كسجع الكهانّ أولى الأدبار فيصمت صمتا رهيبا عميقا كالبحر في لحظات سكونه.

قال لي يوما وأنا أضيق ذرعا بصمته وأنتحب عليّ أعرف منه شيئا: "سل أباك، سل أم السعد، سل كل

ذلك؟ لا أحد يعلم.
ياله من رجل غريب، كم كان
يرنو إلى الأعماق، وكم كان يتطلع
للمجهول.

أتذكر يوم دفنه جيّداً، أمام منزل
أمّ السعد وقف عامر يبكي يضم
نوال إلى صدره وهي تكفكف دمه
ناظرة إلى أمّ السعد نظرة عتاب
وعامر يهذي مردداً: "أبي ليس أبي
ونوال أختي وأمّ السعد أكبر أثرياء
البلدة أمي والشيخ ميلاد

أ...ب.ي".
كنت أحاول جمع شتات
الأحداث لأفهم، لكنني أردت في
النهاية : "مات الذين يعلمون".

الذين يعلمون"، ثم لا يلبث أن
يتنهد قائلاً : أنا أملك نصف
أراضي البلدة، أنا أغني الأغنياء.
فكنت أقول له: "ماذا يا صاحبي،
هل أصابتك عدوى الشيخ ميلاد،
كيف تملك نصف أراضي البلدة ولا
أعلم بهذا إلا الساعة، هل هذا لغز
من الألغاز" فيرد قائلاً: "لو تكلم
الذين يعلمون لصرتم تفقهون".

كلام عامر نغى بذرة الحيرة أكثر
وهو ما جعلني أتذكر وفاة ذلك
الشيخ الغامض، وجد ميتاً في الجبّ
العميق، لم تكن آثار الخدوش أو
الكسور ظاهرة عليه، كيف دخل
إلى وسط الجبّ؟ كيف مات؟ هل
مات عندما دخل الجبّ أم قبل



أقلام واعدة

هدى العقرباوي

أصدقائي، أصدقاء الكلمة الخالدة.

قال الشاعر:

وما من كاتب لك سيفني ويُقيي الدهر ما كتبت يداؤه

فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

لقد وصلت محاولتكم إلى مجلتكم الإتحاف، وأني أشكر لكم ثقتكم في المجلة وفي هذا الركن، غير أنني مازلت ألس في محاولتكم بعض "الارتباك" كطفل في بداية خطاه، يحاول يفلح أحيانا ويسقط أخرى لكن الأكيد أنه سيفلح ويشب كبيرا.

*الصديقة جهاد الكريفي بمحاولتك: "إلى الراحل قبل الراحل"

إحساس مرهف، صورة شعرية موجودة، لينقصها الإيقاع وبعض الإيحاءات، لك ولقرءاء المجلة ننشر هذه الأبيات.

هزيمة وجهي تشتهيك

حسي أنه

من صمتك الربيع يفوح

فتربكني إلى حد الإرهاق رغبتي

أشتهي صدرك شأبي -

يطرد حزن المدينة

يلملمني

يرجم بالمعطف حماقاني

أشتهيك أبي!....

*الصدى حسام بن أحمـ : فـش عـن الصـورة الشعـرية ولا تـلهـث وراء القافية
لـتـكـسـب القصـيد إيقاعا مـفتـعلا مـن قصـيدك بأمر القـبـيلة تـنـشر لك هـذه
الآيات :

سـيـخـتـفـي هـواك فـي دفاـتر الكـمـان

فالبـوح فـي قـبـيلـتي ثـمـرد

والـحـبّ فـي عـشـيرـتي عـصـيان..

هـواك فـي دفاـتـري..

و سـادـتي...

هـواك فـي سـتـائر الجـنـدان...

*الصدىقة إيناس السعيداني

أعـيدـي تـرـتـيب مـا كـتـبـته فـي قـصـيد "كـمـان" فـي شـكل النـثر سـتـجـدي إنـها
انـفـعـالات نـفس وأنـك عـبرت عـن إحـساس فـي شـكل خـاطـرة لا غـير.
احـفـظـي كـثـيرا مـن الشـعر لـعـديد الأسماء. سـتـعـلمي إن الشـعر لـيس شـكـلا فـحـسـب.
الكـمـان..

قـبـس نور يـنـطـفئ

قـناديل الحـياة... تـخـتـفـي

ظلام رهـيب... يـخـترق

جـرح الفـواد عـمـيق.

إلى لقاء قريب